السيد عبد الحسين دستغيب

سيرة الزهراء (ع)

ترجمة: لجنة الهدى

سيرة الزهراء (ع)

السيد عبد الحسين دستغيب

سيرة الزهراء (ع)

ترجمة: لجنة الهدى

دار البلاغة

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف وفاكس: ٣١٧٤٢٥ - ٨٢٠٣٢٠ - ٨٣٤٢٦٥ - ص.ب: ٢٥/١٦ - تلكس: ٢٢٥٩٧ بلاغ - بيروت - لبنان

مقدمة الناشر

يعتبر الحديث عن أهل البيت عليهم السلام والتعريف بهم أمراً ضرورياً لأن ذلك من أجلى مصاديق قوله تعالى ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى** ﴾[1] فكيف يودُّ الإنسان أشخاصاً لا يعرف عنهم شيئاً ،ولا يتم ذلك إلا من خلال التعرّف على تاريخهم الحافل بكل أنواع المآسي والأحوال التي طرأت عليهم ؛ والظلامات التي تعرضوا لها حتى اشتهر على لسان صادقهم بأن كرامتهم من الله الشهادة ، وأنه ما من إمام إلا وقتل مظلوماً شهيداً أو مسموماً أو مسجوناً .

والتعرّف على هؤلاء القادة والذين بهم تمّت نعمة الله علينا يكون مقدمة أكيدة لمودتهم وولائهم حيث يصح حينها كل عمل عبادي وجهادي وغير ذلك بعد أن ينسب إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام .

ولكن المسألة تحتاج إلى دأب متواصل وعمل متصل من أصحاب الأقلام الحرّة والقارىء الواعي ليتم لنا الوصول إلى هذا الغرض وإلاّ فإن الحلقة الواحدة لا تقوم مقام السلسلة .

﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** ﴾[2]

---

(١) سورة الشورى ، الآية (٢٣) .

(٢) سورة التوبة ، الآية (١٠٥) .

مقدمة الكتاب

بسم الله تعالىٰ وله الحمد

الإيمان طريق النجاة الوحيد

لا شك ان طريق النجاة منحصر بالإيمان والعمل الصالح ، اللذين هما بمثابة الجناحين أو القدمين الضروريتين للسير نحو العالم المعنوي ، والآيات القرآنية والاخبار الواردة عن أهل البيت عليهم السلام كثيرة في هذا الصدد وواضحة .

كذلك ، لا شك في ان الإيمان هو الاصل ، والعمل الصالح هو الفرع ، فلو أن شخصاً مات بدون إيمان فلن ينفعه عمله الحسن حتىٰ لو كان جبالاً **﴿ والذين كفروا فتعساً لهم وأضلَّ اعمالهم ، ذلك بأنهم كرهوا ما انزل الله فأحبط أعمالهم ﴾**[1] .

الاّ انه لو قدّم اعماله مع الإيمان حتىٰ لو كانت قليلة وقد قضىٰ سنين طويلة في العناء ، فسيكون في نهاية المطاف من الناجين ، فالإيمان اذن طريق النجاة الوحيد .

---

(١) سورة محمد/ الآية(٨) .

الإيمان عقد في القلب وتصديق

الإيمان بوحدانية الله ونبوة محمد (ص) يُدعىٰ الاسلام والإيمان هو التصديق بهذه المعاني وفروعها واعتقاد القلب بها فقد قال تعالىٰ ﴿ **قالت الاعراب آمنا ، قلْ لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولمّا يدخل الايمان في قلوبكم** ﴾[٢] .

اصبح واضحاً اذن ان الايمان غير الاسلام ، المسلمون كثيرون الآّ ان المؤمنين قليلون ، وان كل هذه الانحرافات هي بسبب عدم الإيمان أو ضعفه ، والاّ كيف يمكن أن يقع في مهاوي الذنوب من كان عالماً بوجود الله ومصدقاً بيوم القيامة ، لقد ورد في الخبر (لا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن) زيدوا في إيمانكم .

﴿ **يا ايها الذين آمنوا ، آمِنّوا بالله ورسوله والكتاب الذي نَزَّل علىٰ رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل . . . .** ﴾[٣] .

بناء علىٰ احد التفسيرات فإن المقصود بالآية الكريمة هنا هو درجات الايمان ، أي : يا ايها الذين جئتم إلىٰ الايمان في أي درجة كنتم ، تقدموا اكثر واسعوا إلىٰ زيادة إيمانكم واضيفوا إلىٰ رأس مالكم ، وعليه فالمؤمن ـ وفي أي درجة كان ـ لا يتقاعس عن السعي ، فكما أنه يسعىٰ في ليله ونهاره للعمل الصالح ، كذلك يسعىٰ إلىٰ انه يزيد في إيمانه .

الحب من مستلزمات الإيمان

تظهر في القلب الذي آمن مسائل لاتنفك عنه ـ فالمؤمن مثلاً متوكّل ﴿ **وعلىٰ الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين** ﴾[٤] ، وكذلك الخوف من الله ﴿ **وخافون ان كنتم مؤمنين** ﴾[٥] ، وان يحب الله سبحانه اكثر من أي شيء ﴿ **والذين آمنوا**

---

(٢) سورة الحجرات/ الآية(١٤) .
(٣) سورة النساء/ الآية(١٣٦) .
(٤) سورة المائدة/ الآية(٢٣) .
(٥) سورة آل عمران/ الآية(١٧٥) .

اشد حباً لله ﴾[٦] ، وان تكون علاقته بالله اكثر من علاقته بأي شيء آخر قال تعالىٰ ﴿ قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احبَّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتىٰ يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾[٧] .

محبة أهل البيت ضرورية للإيمان

من المقدمات التي مرت ، يصبح واضحاً ان حب أهل البيت وعترة النبي (ص) ـ لأنه مرتبط بالله ورسوله ـ ضروري للإيمان وان النسبة بين الإيمان وحب أهل البيت نسبة مباشرة ، فكلما كان الإيمان اكثر وأقوىٰ اصبح حب أهل البيت أيضاً اقوىٰ ولذا فقد ورد هذا الحب في القرآن بصفة اجر للرسالة ﴿ **قل لا اسألكم عليه اجراً الاّ المودة في القربىٰ** ﴾[٨] ، وأفهم في نفس الوقت ان محبتهم نافعة للمؤمنين والاّ فإن اجر النبي (ص) علىٰ الله سبحانه ﴿ **قل ما سألتكم من اجر فهو لكم ، ان اجري الاّ على الله** ﴾[٩] .

وخلاصة ما نستفيده منه كل ذلك انه بازدياد محبة اهل البيت يزداد الإيمان كذلك ، أي ان الركن الأساس للصلاح والطريق الأساس للنجاة الابدية ـ هل الدين الاّ الحب والبغض ؟ الحب لأحباء الله والبغض لأعدائه .

ذكر الفضائل يزيد في الحب

ان الانسان وبحسب الفطرة محب للكمال ، وقد جعل الله هذا الأمر فطرياً وغريزياً فيه ، فكل انسان يحب الجمال والصوت الحسن والكريم والشجاعة والحياء والعفة ، كما يبغض اضدادها ، وحيثما كانت تلك الصفات الحميدة موجودة فإنه يحبها ، أي أنه لو وجد انساناً كريماً أحبه ، فهو اذن حين

---

(٦) سورة البقرة/ الآية(١٦٥) .
(٧) سورة التوبة/ الآية(٢٤) .
(٨) سورة الشورىٰ/ الآية(٢٣) .
(٩) سورة سبأ/ الآية(٤٧) .

يرىٰ صفات الجمال والحياء والشجاعة و . . . موجودة في آل محمد (ص) يزداد حباً لهم ، لذلك نرىٰ أي أثر يمكن ان تتركه المجالس التي تعقد لذكر فضائل أهل البيت وكذلك كتابة ونشر فضائلهم (ع) وأي ثواب وأجر في ذلك .

أنهم مستغنون عن ذكر الآخرين لهم ، أي ان الله سبحانه قد اعطاهم تلك الفضائل وذلك التكامل سواء اعرف بها احد أم لم يعرف ، وسواء ذكرها الآخرون أم لم يذكروها ، لكن كل هذا الحث علىٰ ذكر ونشر فضائلهم ومعجزاتهم إنما هو للمؤمنين أنفسهم الذين يزداد إيمانهم وينالون درجات القرب ببركة ذكرهم .

الشخصية الفريدة للزهراء (ع)

لا نستطيع ان نوفي الحديث حقه في هذا المجال الضيق حول عصمة السيدة المخدرة في العالمين الصديقة الكبرىٰ فاطمة الزهراء (ع) التي انحدرت بواسطتها لوحدها ذرية النبي (ص) فكانت البركات التي عمت العالم قد انتشرت فيه بواسطتها ، ونحن نعلم بإدراكنا القاصر انها ام لأثني عشر ولياً وإماماً بحق ، المعصومة الكبرىٰ والشفيعة في يوم الجزاء ، وهي البضعة من جسد النبي «فاطمة بضعة مني» يرضىٰ الله لرضاها ويغضب لغضبها ، من أحبها فقد أحبّ الله ورسوله ، ومن حاربها فقد حارب الله ورسوله ، وان عجزنا عن ادراك كمالها وعظمة شأنها كاف في الدلالة علىٰ تلك العظمة وذلك الكمال .

وهذا الكتاب الذي قيل في ذكرها ودُوِّن وطبع هو قطرة من بحر فضائلها المترامي الأطراف ، نقدمه إلىٰ نفسها الزكية نأمل بواسطته ان يظل ببركتها أثراً باقياً لنا .

ان لم تستطع نزحَ ماء البحر   فلتشرب علىٰ قدر ظمأك

والكتاب الحاضر هو خطوة علىٰ الطريق الذي تحدثنا عنه آنفاً ، طريق

الإيمان وتقويته ، وقد طبعت الطبعة الأولىٰ منه في الأيام الفاطمية عـام ١٣٧٥ أي قبل سبعة وثلاثين عاماً ، وهو عبارة عن محاضرات القاهـا آية الله دستغيب آنذاك

نجل المؤلف

محمد هاشم دستغيب

المحاضرة الأولى

(١) آية المباهلة بحق فاطمة الزهراء

كتب كبار علماء العامة والخاصة كتباً كثيرة في فضائل ومناقب فاطمة الزهراء (ع) ، منها في الآيات القرآنية التي نزلت بحقها ومن بينها آية المباهلة حيث اجمع المفسرون على انها هي المراد من كلمة «ونساءَنا» في تلك الآية الشريفة ، وذكروا بالإجماع ان مجيء الزهراء لوحدها للمباهلة يعني كما لو ان جميع المؤمنات حاضرات .

ولو لم يكن غير هذه الآية بحق فاطمة لكان ذلك كافياً لإظهار عظمة شأنها ومن المناسب هنا ان نقدم شرحاً عن هذه الآية :

المباهلة في مقام احقاق الحق

المباهلة : هي أنه حين يختلف اثنان أو اكثر ويقع بينهما نزاع ولا يقبل كل منهما بالدليل والبرهان الذي يقدمه الآخر ، ولكي يضعا حداً للنزاع بينهما ، يقوم كل منهما بالابتهال إلىٰ الله في ان يُهلك المبطلَ منهما وبهذا يتضح الحق .

النبي (ص) ونصارىٰ نجران

كان رسول الله (ص) قد ذكر امام نصارى نجران ان عيسى (ع) هو مخلوق وعبد لله ، وأنه قد بشرّ بنبوته (ص) ، وقد طلب إليهم ان يأتوه بمجموعة

من نصارىٰ نجران إلىٰ المدينة ليتحادث معهم ، ثم انهم جاؤا وظلوا في المدينة بضعة أيام الاّ انهم لم يوافقوا علىٰ قوله وقالوا : كيف يكون عيسىٰ مثل سائر البشر بينما لم يكن له أب ؟ اذن فهو ابن الله ، بل متّحد فيه .

اجابهم النبي (ص) بموجب الوحي الإلهي الذي قال : **﴿ ان مثل عيسىٰ عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾**[1] .

خلاصة الأمر ان خلق عيسىٰ (ع) بدون أب ليس اشد صعوبة من خلق آدم (ع) بغير أب ولا أم ، بل ان خلق آدم اكثر اثارة للعجب ، فاذا استتبع ذلك ان يوضع عيسىٰ في مقام الالوهية ، فمن باب اولىٰ ان يعطىٰ مقام الالوهية لآدم ، بينما لم يعتقد نصارىٰ نجران بمقامٍ كهذا لآدم ابي البشر ، وعليه فينبغي لهم ان لا يدّعوا تلك الدعوىٰ لعيسىٰ (ع) .

لم يتقبل نصارىٰ نجران ذلك البرهان الإلهي وازداد عنادهم وإصرارهم ، فدعاهم رسول الله ـ بأمر من الله ـ إلىٰ المباهلة ، قال تعالىٰ : **﴿ فمن حاجك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعُ ابناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله علىٰ الكاذبين ﴾**[2] .

إن إشراك النبي (ص) للحسين والحسن والزهراء وعلي في المباهلة كان فيه حكم منها : الجزم والقطع بصدق دعواه ونبوته حيث جاء بفلذتي كبده (الحسن والحسين) وابنته الوحيدة الزهراء وقف هو بمنزلة نفسه أي الإمام علي جاء هكذا ليكون في موقع المباهلة ليقتلع الله المبطل من جذوره أي أنه اراد القول : انني علىٰ يقين بأن الحق معي والطرف الآخر علىٰ باطل ، إلىٰ الدرجة التي جئتُ بها معي بأحبائي للمباهلة .

اما الحكمة الأخرىٰ فهي الاعلان عن منزلة من كانوا معه أولئك الذين كانوا بمنزلة ابنائه ونسائه ونفسه ، ترىٰ أي منزلة سامية لهم عند الله ؟

---

(١) سورة آل عمران / الآية(٥٩) .

(٢) سورة آل عمران / الآية(٦١) .

ان كلمة «ابناءنا» دللت بوضوح ان الحسن والحسين هما ابنا النبي ، و«انفسنا» دللت علىٰ ان علياً هو نفس محمد وانهما واحد ، و«نساءنا» دللت للمسلمين بأن الزهراء لوحدها لها افضلية علىٰ جميع النساء .

وحكمة أخرىٰ هي ان يعلم الناس باشتراكهم واتحادهم برسول الله بأن دعواه صادقة وهي احقاق للحق وابطال للباطل .

(١) كيف ذهبوا للمباهلة

قبل النصارىٰ اقتراح المباهلة ، فجاء رسول الله في صباح الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة عشر للهجرة وقد حمل الحسين إلىٰ صدره بينما امسك بيد الحسن ، وكان يسير خلفه فاطمة وعلي ، قال لهم رسول الله : حين تسمعونني ألعن قولوا آمين .

حين رأىٰ اسقف نجران النبي (ص) ومن معه علىٰ تلك الهيئة قال : اعلموا ايها النصارىٰ : ان الوجوه التي أراها لو اقسمت علىٰ الله ان يزيل الجبال لأزالها ، فإياكم ومباهلتهم فإنكم ستهلكون حتماً ولا يبقىٰ بعدها نصراني علىٰ الأرض .

ثم انهم قالوا للنبي : نرىٰ ان لا نتباهل معك ، وتظل انت علىٰ دينك ونبقىٰ نحن علىٰ ديننا .

قال النبي : الآن وقد تراجعتم عن المباهلة فأسلموا ، كي تشاركوا المسلمين في السراء والضراء ، فلم يوافقوا .

قال : هل تريدون الحرب ؟ قالوا : لا طاقة لنا بقتال المسلمين الاّ إننا نصالحك ان لا تقاتلنا ولا تخيفنا وان لا نعود عن ديننا وان نعطي الفي حُلّة ثمن كل حُلّة اربعون درهماً[٣] ، فصالحهم على ذلك .

---

(٣) خبر المباهلة في الدر المنثور للسيوطي (ج٢ ، ص٣٨ ـ ٤٠) ضمن تفسيره آية المباهلة ، وفي تاريخ ابن الأثير (ج٢ ، ص٢٩٣) والبداية والنهاية (ج٥ ، ص٥٢ ـ ٥٦(م) .

نقاط مهمة في آية المباهلة

كانت تلكم خلاصة آية المباهلة وينبغي للمؤمنين ان يتعمقوا فيها ليعرفوا مقام ومنزلة وفضيلة أهل البيت (ع) خاصة الأمر الإلهي للنبي بأن يأتي معه بـ(الأبناء والنساء والانفس) للمباهلة ، حيث اتفق جميع المفسرين والمحدثين ان رسول الله قد جاء معه بالإمام علي ليكون واضحاً انه لا أحد غير الإمام علي بمنزلة نفس النبي (ص) ، وأنه ليس له مثيل في بني هاشم والصحابة ، وجاء بالحسن والحسين ليعلم الجميع أنهما ابنا النبي ولا شبيه لهما ومن النساء جاء بالزهراء علىٰ الرغم من وجود زوجاته والنساء الهاشميات ، الاّ أنه لم يأت بأية واحدة منهن ، فبالاضافة للنسب الجسماني وكونها ابنته ، هناك العلاقة الروحية والاتحاد المعنوي بينهما ، وان المنزلة التي لديها عند الله لم تشاركها فيها اية امرأة أخرىٰ وإلاّ لم يكن رسول الله ليأتي بها معه .

النقطة الأخرىٰ ورود (الابناء والنساء والانفس) في الآية بصيغة الجمع ، بينما لم يأت رسول الله (ص) بسوىٰ علي وفاطمة والحسنين ولم يأت بأحد آخر ، ليكون معلوماً ان هؤلاء الأربعة هم الخاصة والخلاصة من كل المؤمنين والمؤمنات في العالم وان حضورهم هو بمثابة حضور الجميع ، وان قولهم آمين لدىٰ رسول الله كاف لأن يستغني به عن الآخرين .

ويكفي لمعرفة جلال وعظمة شأنهم ان النصارىٰ الذين استعدوا لما يقرب من ستين يوماً بكل ما لديهم من شجاعة ونخوة حين شاهدوا العظمة الروحية والهيبة الالهية والنورانية المعنوية لاولئك الاجلاّء عليهم السلام ، خافوا وقالوا هذه وجوه لو أقسمت علىٰ الله ان يزيل الجبال لأزالها ، وامتنعوا عن المباهلة وسلّموا للنبي .

قول الزمخشري والرازي

يقول الزمخشري ضمن تفسيره لآية المباهلة وهو من كبار المفسرين ان واقعة المباهلة دليل قوي لا يوجد أقوىٰ منه علىٰ افضلية أهل البيت .

ويقول الفخر الرازي : أنه دليل علىٰ افضلية أهل البيت علىٰ جميع

الصحابة ، وهو لدىٰ الشيعة دليل علىٰ فضيلتهم حتىٰ علىٰ الأنبياء الماضين .

(٢) سورة هل أتىٰ بحق أهل البيت

باتفاق جميع الإمامية وكل اتباع أهل البيت ، فان سورة الدهر قد نزلت بحق علي وفاطمة والحسن والحسين ، ومدحهم وتبشيرهم وكذلك بذم اعدائهم ووعيدهم بالعذاب ، لأن سبب نزول هذه السورة هم عليهم السلام .

وينبغي ان يكون واضحاً ان آيات المدح الواردة في هذه السورة عامة ، وان كل مسلم لديه الصفات المذكورة فيها مشمول بها ولذا فقد قيل ان سبب نزول تلك السورة هم ، وعليه فالمشمولون بالمدح أولاً هم أهل البيت بالذات ، أما سائر الأشخاص الذين لديهم هذه الصفات فمشمولون ثانياً وبالعرض .

بعبارة أخرىٰ : ان الدرجة الكاملة في المدح والبشارة هي لأهل البيت ، وكل من كانت لديه من الصفات المذكورة في هذه السورة فانه يكون له أيضاً نصيب من ذلك المدح وتلك البشارة بمقدار ما لديه من تلك الصفات .

وكذلك ، فان كل كافر وفاسق ذكرت فيه صفات اعداء أهل البيت في هذه السورة فان آيات الذم والتهديد تشمله .

وقد نقل نزول هذه السورة بحق أهل البيت مجموعة من كبار العلماء مثل الواحدي في (البسيط) ، وإلى اسحاق الثعلبي في (تفسيره) الكبير ، والموفق بن أحمد في كتاب (الفضائل) والزمخشري في (الكشاف) واسماعيل الحقي في (روح البيان) .

ذكر الثعلبي في تفسير بسند متّصل ، عن ابن عباس ان الحسن والحسين مرضا ، فزارهما النبي مع عدة من أصحابه وقال لأمي المؤمنين من المناسب ان تنذر لله نذراً لأجل شفائهما .

حين اراد الإمام ان يصوم ولم يكن شيء في البيت ، ذهب إلىٰ شمعون اليهودي واستدان منه ثلاثة صاعات من الشعير وفي رواية أخرىٰ أنه استدان منه

كمية من الصوف ليعطيها إلى فاطمة لتغزلها فيكون أجرها ثمن تلك الصاعات الثلاثة من الشعير .

وافق اليهودي وأعطىٰ الإمام علياً الصوف والشعير الذي قام بدوره ، باعطائهما لفاطمة .

ثم انهم صاموا ، وكانت فاطمة قد طحنت صاعاً من ذلك الشعير وخبزت منه خمسة أقراص لتكون حصة كل واحد قرصاً وعند الغروب وبعد أن ادىٰ الإمام علي الصلاة مع رسول الله جاء إلىٰ البيت ليفطر ، وما ان جلس حتىٰ دق الباب مسكين قال : السلام عليكم يا أهل بيت محمد ، انا مسكين من المسلمين فأطعموني ، اطعمكم الله من موائد الجنة ، فقرأ الإمام علي اشعاراً بمدح الجود وان الجنة محرمة علىٰ البخيل الذي يكون محله في جهنم ، ثم اعطىٰ قرصه للمسكين ، فبادرت فاطمة لقراءة اشعار أيضاً واقتدت به وأعطت قرصها للمسكين ، كما قام الحسنان باعطائه قرصيهما والخادمة فضة أيضاً ، ولم يتناول الجميع في تلك الليلة سوىٰ الماء .

وفي اليوم الثاني لصيامهم صنعت الزهراء أيضاً خمسة اقراص من الصاع الثاني ، وحين جلسوا للأفطار ، طرق الباب يتيم قال انا يتيم من اولاد المهاجرين استشهد والدي يوم العقبة فأطعموني أطعمكم الله من طعام الجنة .

أنشد الامام علي اشعاراً في حب اليتيم وأعطىٰ قرصه له وتبعته فاطمة ثم الحسنان ثم فضة ، وشربوا الماء أيضاً في تلك الليلة .

في اليوم الثالث صنعت فاطمة الزهراء الاقراص الخمسة ، وحين جلسوا للافطار طرق الباب أسير قال : السلام عليكم يا أهل بيت محمد ، لقد أسرتموني ولا تطعمونني ؟ اطعموني اطعمكم الله من طعام الجنة .

قام الجميع باعطائه اقراصهم من الخبز ، وهكذا ظلوا ثلاثة أيام بلياليها لم يتناولوا طعاماً .

حين انتهوا في اليوم الرابع من اداء نذرهم ، أخذ الإمام علي الحسن بيد والحسين بالأخرىٰ وهما يرتجفان من الضعف إلىٰ رسول الله الذي ما ان رآهم

حتىٰ قال : لقد المني ما أنتم عليه ، فلنذهب لرؤية ابنتي فاطمة ، ثم ذهبوا إلىٰ بيتها فوجدوها قائمة في محرابها منشغلة بالصلاة ، بينما كانت بطنها ملتصقة إلىٰ ظهرها وعيناها غائرتان في محجريهما من الجوع ، حين رآهـا رسول الله تـأثر لحالها وقال : الهي! ان أهل بيتي يمـوتون من الجـوع ، فنزل الأمين جبـرئيل وجاء بسورة (هل اتىٰ) إلىٰ النبي ، (وإلىٰ هنا تنتهي رواية الثعلبي) .

وفي رواية أخرىٰ ، ان رسول الله بعد قراءته لسورة هل آتىٰ واطلاعه علىٰ ان عمل أهل بيته من قبول الصيام وإطعام الطعام ـ قد قبل عند الله ، سُرّ كثيراً وبدا وجهه باسماً وشكر لله وكذلك كان أهل بيته .

﴿ ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ﴾ .

الابرار جمع بَرّ وتعني الصالحين ، وفي هذه العبارة امتـدح الله سبحانـه أهل البيت وأيّد عملهم الصالح ، وان اطلاق (الابرار) (بالجمع مـع الف ولام التعريف هو في حقيقته واقع في العموم وظاهـر في الاستغراق) ، علىٰ فـاطمة وعلي والحسنين (ع) إنما كان ليكون واضحاً انهم اكمل الابرار وأفضل الأخيار وأنهم المختـارون ممن اختارهم جلّ وعـلا ، وانهم ابـرار بصـورة مـطلقـة لا يشركهم في ذلك أحد ، يأتي بعدهم من كان من الصالحين في الدرجة الذين سيكون برهم نسبياً أي بالنسبة إلىٰ الزمان والمكان الذي يعيشون فيه .

﴿ يشربون من كأس ﴾ : الصالحون والابرار يشـربون من كـأسٍ ليست كالخمر الدنيوية التي تؤدي إلىٰ السكر وفقدان الوعي بل ان خمر الجنة تزيد في الذكاء والادراك والحب ، ممزوج بالكافور أي ان تلك الكأس قد مُزجت بكافور الجنة لتصبح الرائحة لذيذة .

﴿ عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا ﴾

ان تلك العين من الكـافور المـوجودة في الجنـة والتي يشرب منهـا عباد الله ، جارية بحيث يسهل عليهم الشرب منها من أي مكان شاؤوا .

روي عن الإمام الصادق (ع) ان أصل تلك العين في بيت رسول الله ، ثم تجري من هناك في الجنة وبيوت الأنبياء والمؤمنين .

وينبغي ان يكون واضحاً ان المراد هنا بـ(عباد الله) ليس العبيد بـالخلقة والملك ، والاّ فالجميع هم عباد الله ، بل المراد به العبد بالطاعة والخدمة ، أي أولئك الذين بلغوا حد الكمال في اطاعتهم وعبوديتهم لخالق العالم ، وقد ذكر قسم من صفاتهم في آخر سورة الفرقان ، ولما كان علي وفاطمة والحسنان في مقدمة العابدين والاكمل من جميع الكاملين في العبودية ، اطلق عليهم في هذه الآية اسم (عباد اللّه) ، وهذا مدح عظيم لا يتصور ما هو أعلى منه .

ثم ذكر بعد ذلك سبب هذا المديح العظيم والتكريم الإلهي لهم فقال ﴿ **يوفون بالنذر** ﴾ أي أنهم في مقام الإطاعة والعبودية ـ اضافة لما هو واجب عليهم بموجب الأمر الإلهي ـ يعملون في سبيل الله ، وبطبيعة الحال فإن الذي يرىٰ بذاته العمل عليه واجباً ويعمل بذلك ، فمن باب أولىٰ ان يكون اكثر استعداداً لأداء ما هو واجب عليه ، وهذه الجملة شهادة من خالق العالم علىٰ شدة انقيادهم واطاعتهم لله .

﴿ **ويخافون يوماً كان شره مستطيرا** ﴾ وفي الأية شهادة من رب العالم لهم بالطهارة من الذنوب والعصيان لأن من كان دائماً في خوف من أهوال القيامة ، يكون بعيداً عن اقتراف الذنوب وهو أيضاً شهادة الهيبة علىٰ رسوخ إيمانهم وقوة يقينهم بيوم القيامة ، لأن من مستلزمات اليقين الصادق بالقيامة الخوف منها ، والشواهد علىٰ هذا كثيرة من القرآن والأحاديث .

﴿ **ويطعمون الطعام علىٰ حبه مسكيناً ويتيماً واسيرا** ﴾ وهذه شهادة ثالثة من خالق العالم علىٰ الصفات الكمالية لجود وإيثار ورأفة أولئك العظماء بالضعفاء .

﴿ **إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا إنّا نخاف من ربنا يوما قمطريراً** ﴾ ، في هذه الآية الثناء الرابع والشهادة السامية من الخالق سبحانه علىٰ غاية كمال اولئك الأطهار الذين لم يطّلع علىٰ احسانهم أحد سوىٰ الله ، وهذا منتهىٰ الأخلاص في العبودية ، وسوف نذكر جلالة شأن الاخلاص في محله .

ثم ان الله بشرّهم بالعطاء الجزيل الذي قسمه لهم في الآخرة فقال :

﴿ فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقّاهم نظرة وسرورا ، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا ، متكئين فيها علىٰ الارائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا ﴾ ، لا يرون فيها حراً ولا برداً ، أو أنه لا توجد شمس ولا قمر في الجنة ، اذا لا حاجة للضوء وشعاعهم اشد بريقاً من مئات الشموس .

روي أن أهل الجنة يرون فجأة نوراً كنور الشمس اضاء الجنة ، فيسألون : الم يذكر في القرآن أنه ليس في الجنة شمس ؟ فيجيب جبرئيل ان هذا ليس نور الشمس ، الاّ ان علياً وفاطمة مسروران مبتسمان ، وهذا نور ابتسامتيهما[٤] .

﴿ ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ، ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا ، قوارير من فضة قدّروها تقديرا ويسقون فيها كأساً كان مزاجها كافورا عيناً فيها تسمىٰ سلسبيلا ﴾ .

والكافور والزنجبيل (السلسبيل) هما غير الكافور والزنجبيل الدنيويين وإنما الاشتراك هو في اللفظ وليس في الحقيقة .

﴿ ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثورا ، وإذا رأيتَ ثمَّ رأيت نعيماً وملكاً كبيرا ﴾ .

ورد في الحديث : قليل من أهل الجنة من يقدر أن يرىٰ ملكه الممتد علىٰ بعد ألف سنة ، واقصىٰ ما يستطيع رؤيته مما وهبه الله هو بداية ما هو فيه ، (منهج الصادقين) .

﴿ عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق ، وحُلّوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهورا ﴾ .

وهذه هي الكرامة الأخيرة حيث ان سقاية أولئك الاجلاّء نُسبت إلى ذاته الازلية سبحانه ، وهي اعلىٰ من كل الدرجات التي مرت ، وهنا نقاط دقيقة يعجز القلم واللسان عن شرحها **﴿ ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم**

---

(٤) غاية المرام (ص٣٧٣) .

مشكورا ﴾ .

ان التدقيق في هذه الآيات التي مرت يبين إلىٰ أيّ مدىٰ امتدح خالق العالم أهل البيت وأثنىٰ عليهم ، وعلىٰ اخلاصهم ، وبشرّهم بالبشارات العظيمة والكرامات والنعم والمقام الكبير في الدار الآخرة ، وكما ورد في الآيات أيضاً ان بقية المؤمنين الذين يتحلون بالصفات الكمالية للمعرفة والعبودية والخوف والرجاء والاخلاص سيكونون من (الابرار) المشمولين بتلك البشارات بمقدار ما هو موجود لديهم من الصفات الواردة في هذه الآيات .

(٣) آية المودة وأجر الرسالة

﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً الاّ المودة في القربىٰ ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً ﴾ ، أي هو نفس الشيء الذي يتوقعه عبادي الذين احبهم وكل متن اكتسب حسنة ، أي شيئاً يوجب القرب إلىٰ الله (حين نزيد في حبنا لأهل البيت (ع) فاننا نزيد في تلك الحسنة ، أي يتضاعف ثوابها اضعافاً مضاعفة) ، ليصفح الله عن ذنوبنا ويعطينا أجر الطاعات .

وعن هذه الآية ، فقد اتفق الخاصة وكثير من العامة بأنها في وجوب مودة ومحبة أهل البيت (ع) والمراد بـ(القربىٰ) : علي وفاطمة والحسن والحسين ، والمراد بالحسنة مودّتهم ، والدليل علىٰ هذا التفسير ، الصحاح والروايات المتعددة المتواترة عن الشيعة والسنة الواردة في هذه الآية ، وللمزيد من الاطلاع يمكن مراجعة الجزء الثاني ، (ص٣٠٧) من كتاب الغدير . **نماذج من ذلك :**

أ ـ روىٰ الثعلبي وأبو نعيم والبغوي والواحدي والطبراني وأحمد بأسانيدهم عن ابن عباس أنه قال :

(لما نزلت هذه الآية قيل يا رسول الله ، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ فقال (ص) : علي وفاطمة وابناهما)[٥] .

---

(٥) الغدير (ج٢ ، ص٣٠٧) .

وقد رویٰ هذه الرواية أيضاً الزمخشري والرازي والطبري واثنا عشر عالماً من العلماء العامة .

ب ـ رویٰ الحافظ أبو عبد الله والمحب الطبري وابن حجر والسمهوري ان رسول الله (ص) قال : (ان الله جعل اجري عليكم المودة في أهل بيتي ، وإني سائلكم غداً عنهم)[٦] .

جـ ـ رویٰ الطبري وابن عساكر والحسكاني والگنجي بأسانيدهم ، (قال رسول الله (ص) ان الله خلق الأنبياء من اشجار شتىٰ ، وخلقني من شجرة واحدة ، فأنا أصلها وعليٌّ فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمرها ، فمن تعلق بغصن من اغصانها نجىٰ ، ومن زاغ عنها هوىٰ ، ولو أن عبداً عَبَدَ الله بين الصفا والمروة ألف عام ، ثم ألف عام ، ثم الف عام ، ثم لم يدرك محبتنا ، أكبّه الله علىٰ منخريه في النار ، ثم تلا : ﴿ **قُل لا أسألكم عليه اجراً الاّ المودة في القربىٰ** ﴾[٧] .

فإن قيل : كيف يمكن ان يعبد عبد آلافاً من السنين ثم يذهب إلىٰ النار بسبب عدم محبته لأهل البيت ، ولا تحتسب له عبادته تلك ، ولا يُعطىٰ أجراً ؟ ان هذا لا يتفق والعدل الإلهي .

والجواب : ان المقصود هو العبد الذي بلغته هذه الفريضة الإلهية المهمة أي محبة أهل البيت وعلم وجوبها ولم يتقبلها عناداً منه وحسداً وكبراً وانشغل بالعبادة البدنية القشرية بما يتلاءم مع رغباته النفسية ، وواضح ان شخصاً كهذا لم يذعن بالعبودية لله كما ينبغي ولم يؤدِ سوىٰ متابعة هوىٰ النفس ، لكي يقال بعدها أنه يستحق الثواب الإلهي ، فإن كان حقاً عبداً لله فلماذا لم يطع هذا الأمر الإلهي المهم كما فعل الشيطان حين عصىٰ الأمر الإلهي ولم يسجد لآدم .

د ـ رویٰ الحافظ الزرندي والطبراني وأبو الفرج وابن ابي الحديد وابن حجر وجماعة كثيرون من العلماء ان الحسن المجتبىٰ (ع) قد ارتقىٰ المنبر بعد

---

(٦) الغدير (ج٢ ، ص٣٠٧) .

(٧) الغدير (ج٢ ، ص٣٠٨) .

شهادة امير المؤمنين (ع) وذكر فضائل أبيه وكان من جملة ما قال : (وأنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم وولايتهم فقال فيما انزل الله على محمد (ص) : ﴿ قل لا اسألكم عليه أجراً الاّ المودة في القربى ﴾[٨] .

هـ ـ روى الطبري والثعلبي والسيوطي وابن حجر وجماعة آخرون أنه لما جيء بعلي بن الحسين اسيراً قام رجل من أهل الشام فقال : الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرني الفتنة ، فقال له علي بن الحسين : أقرأت القرآن ؟ فقال نعم ، قال : فقرآت ال حم ؟ قال : قرأت القرآن ولم اقرأ ال حم ، قال : ما قرأت : قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ ؟ قال : وانكم لأنتم هم ؟ قال : نعم[٩] .

وفي رواية أخرى أن ذلك الرجل لطم على وجهه ورأسه وبكى واعتذر عن قوله وتاب عنه ، ثم أنه استشهد على يد يزيد الرجس .

اشعار الشافعي حول أهل البيت

ذكر ابن حجر في الصواعق والنبهاني في الشرف المؤيد هذين البيتين لمحمد بن ادريس امام المذهب الشافعي :

يا أهل بيت رسول الله حبكمُ ... فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكمُ من عظيم الأجر انكمُ ... من لم يصلِّ عليكم لا صلاة لهُ

اشعار محي الدين بن عربي :

وقد روى هذين البيتين أيضاً ابن حجر في الصواعق :

رأيت ولائي آل طه فريضة ... على رغم أهل البعد يورثني القربا
فما طلب المبعوث اجراً على الهدى ... بتبليغه الاّ المودة في القربى

وينبغي ان يكون واضحا ان الهدف من التكاليف الإلهية والواجبات

---

(٨) الغدير (ج٢ ، ص٣٠٩) .
(٩) الغدير (ج٢ ، ص٣٠٩) .

الشرعية هو النفع الذي يعود علىٰ المكلفين ، وكل ما أمر الشرع بأدائه فإنما هو لجلب النفع للمكلف نفسه ، وان الله ورسوله أعلىٰ وأكبر وأغنىٰ من ان يصل إليهم نفع مما يؤديه البشر طبقاً لما أمرا به أو نهيا عنه ، وان هذا ينبغي ان يكون واضحاً لكل مسلم .

وبناء علىٰ هذا فإن أمر خالق العالم ونبيه الكريم بمودة أهل البيت ليس بهدف جلب منفعة مادية لهم من المسلمين ، فالدنيا لديهم أقل وأحقر من ان يتعلقوا بها ، ومن المعروف لدىٰ الجميع ان من الشروط الثابتة للنبي والإمام ، الزهد في الدنيا لأن الراغب في الدنيا ، جاهل بحقيقتها وفنائها وتفاهتها ، وليس مدركاً لعظمة الدار الآخرة وبقائها ، والله لا يختار اطلاقاً الجاهل ولا يهبه الولاية .

فالهدف من الأمر الإلهي بمودة أهل البيت (ع) هو أن ينتفع الناس بمحبتهم والفوائد الكثيرة التي يحصلون عليها ، والتي من بينها وحدة قلوب المسلمين ودخول الإيمان إليها ، وتطهير نفوسهم من الرذائل ودنسها ، واطلاعهم علىٰ المعارف الإلهية والحقائق الدينية والاحكام وطرق التقوىٰ ونيل شفاعتهم في الدار الآخرة ، وسوف نذكر في البحوث الآتية عظم نعمة الولاية وآثارها في نفع الناس .

القرب من رسول الله بإعطاء الخمس

كذلك فإن الهدف من الأمر بإعطاء الخمس إلىٰ نسل رسول الله (ص) ليس لتحقيق النفع المادي لذرية رسول الله فحسب ، بل الهدف من هذا الأنفاق هو تطهير النفوس والأموال والتقرب إلىٰ رسول الله عن طريق اكرام ذريته الذي هو عين القرب ألىٰ الله ، وهو كذلك وسيلة لبلوغ شفاعة النبي (ص) ، وهذا هو نفس الهدف من الأمر بالمحبة والاحسان والاكرام للذرية الطاهرة إلىٰ يوم القيامة .

قال تعالىٰ ﴿ **قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ، ان اجري الاّ على الله** ﴾[10] ، وقال كذلك في آية أخرىٰ ﴿ **قل ما اسألكم عليه من اجر الاّ من**

---

(١٠) سورة سبأ/ الآية(٤٧) .

شاء ان يتخذ إلىٰ ربه سبيلا ﴾[11] .

أي ان مودة ذوي القربىٰ طريق يتخذه العبد يتجه بـه إلىٰ خالقـه ليصل بواسطته إلىٰ مقام القرب .

بعبارة أخرىٰ : بما ان الأنبياء مكلفون من قبل الله بتبليغ الرسالات وارشاد وهداية الخلق إلىٰ الله ، فإن اجرهم على الله أيضاً ، وليس لهم طمع في أجر الناس كما نقل في سورة الشعراء وغيرهـا علىٰ لسان الأنبيـاء الماضين﴿ **ومـا أسالكم عليه من اجر ، ان اجري الاّ علىٰ رب العـالمين ﴾**[12] ، فلم يكونـوا يأملون من الناس الاّ ان يقبلوا دعوتهم ويطيعوا أو امرهم لتكون السعادة نصيبهم ان مودة أهل البيت التي هي من أهم الفرائض الإلهية اذا ادىٰ المسلمون حقها أي أحبّوا أهل البيت وانتفعوا من علومهم واتبعوا نهجهم واطاعوا اوامرهـم ، فقد تقبلوا دعوة ورسالة رسول الله وعملوا بها ، وواضح ان رسول الله (ص) لا يرجو غير هذا ، لذا يقول انا لا اتوقع منكم اجراً الاّ مودة أهل البيت لتطيعوا بواسطتهم كل أوامري وتحصلوا علىٰ السعادة .

(٤) قال تعالىٰ في آية التطهير ﴿ **انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾**[13] .

لا شك ان المقصود بأهل البيت في هذه الآية الشريفة هو أهل بيت النبي وبشهـادة الروايـات المتواتـرة عن الشيعة والسنـة ان المقصود بـأهل البيت هم الخمسة الأطياب أصحاب الكساء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ولم يشاركهم أحد في ذلك .

ويشهد علىٰ هذا الأمر اكثر من سبعين حديثاً من طرق العامـة والخاصـة واغلبهـا عن طريق أهـل السنة ، ولمـزيد الاطـلاع يراجـع كتاب غـاية المـرام للبحراني .

---

(١١) سورة الفرقان/ الآية(٥٧) .
(١٢) سورة الشعراء/ الآية(١٨٠) .
(١٣) سورة الاحزاب/ الآية(٣٣) .

وقد رویٰ جلال الدين السيوطي في الدرّ المنثور عشرين حديثاً في تفسير هذه الآية بأن المقصود بأهل البيت هو الخمسة الطيبة لا غير ، كما نقل ابن جرير الطبري في تفسيره خمس عشرة رواية بأسانيد مختلفة بأن هذه الآية خاصة بالخمسة الأطهار ، منها مارواه عن النبي (ص) قوله : انزلت هذه الآية في خمسة : فيّ وفي علي وفاطمة والحسن والحسين .

كما رویٰ ابن حجر واحمد بن حنبل والواحدي والثعلبي وآخرون من المحدثين والمفسرين عن ابي سعيد الخدري ان هذه الآية خاصة بالخمسة الأطهار .

وباتفاق جميع الفرق الإسلامية ان آية التطهير حين نزلت علىٰ الرسول (ص) اجلس الحسن والحسين في حجره وعلياً وفاطمة علىٰ جانبيه ثم احتواهما بين ذراعيه والقىٰ بكساء عليه وعليهم وغطاهم ليمتازوا وينفصلوا عن الناس ثم قرأ هذه الآية الشريفة عليهم .

ولم يكتف بهذا بل اخرج يديه من تحت الكساء ورفعهما إلىٰ السماء وقال : اللهم ان هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وكان يكرر هذه الجملة وام سلمة ترىٰ وتسمع (لأنهم كانوا في حجرتها) .

ثم اقتربت أم سلمة ورفعت طرف الكساء لتدخل وقالت : وأنا معكم يا رسول الله ؟ فأخذ رسول الله طرف الكساء من يدها والقاه ولم يسمح لها وقال : انهضي ، وفي رواية اخرىٰ قال لها : انت من نسائي فانهضي ولست من أهل بيتي .

وقد رویٰ هذا الحديث الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (الجزء السادس في الصفحة ٢٩٢) والواحدي في اسباب النزول ص٢٦٧ وابن جرير الطبري وابن منذر والبيهقي في سننه والطبراني والترمذي بعدة طرق .

ولتأكيد اختصاص آية التطهير بالخمسة الأطهار لم يكتفِ الرسول بمرة واحدة ، بل كرر ذلك العمل عدة مرات وقرأ الآية عليهم ، وكان كلما اراد الذهاب إلىٰ المسجد لأداء صلاة الصبح يقف بباب حجرة فاطمة (ع) ويقول :

السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا .

واستناداً إلىٰ رواية انس ، فان النبي استمر على هذا المنوال ستة اشهر وبرواية ابن عباس سبعة اشهر وفي رواية اخرىٰ ثمانية اشهر[14] .

ومما دلل علىٰ حكمة أعمال رسول الله (ص) التي كان احدها اجتماع الخمسة الأطهار تحت الكساء ، وفصلهم وتمييزهم عن غيرهم ، والاخر ، عدم السماح لأم سلمة علىٰ عظمة شأنها بالدخول تحت الكساء ليعلم بذلك ان الزوجات غير مشمولات بآية التطهير ، والآخر ، تكرار تلك الآية صباح كل يوم امام بيت فاطمة ولعدة اشهر ان كل ذلك أوضح به (ص) الحق بصورة لا لبس فيها ، والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .

اثبات مقام عصمة أهل البيت (ع)

وتثبت هذه الآية الكريمة مقام العصمة لخمسة اشخاص بل تجعلها منحصرة في هذه العائلة ، وتوضيح ذلك : هو أن الرجس يعني في اللغة : القذارة ، والنجاسة ، والمقصود بها في هذه الآية هو مطلق الذنب ، ما كان قلبيا كأنواع الشرك والنفاق والشك ، ومختلف الاخلاق الرذيلة كالكبر والحسد والبخل والحرص والذنوب الكبيرة والصغيرة من أنواع المحرمات .

والمقصود بالإرادة في قوله تعالىٰ ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس . . .** ﴾ الارادة التكوينية وليست التشريعية ، أي ان الله اراد أن يبعد عن وجودكم يا أهل البيت ، كل ذنب ، وواضح ان الإرادة الإلهية لا تتغير ، أي أنه من المستحيل ان يصدر عن أهل البيت ذنب وهذا هو معنىٰ مقام العصمة .

ثم يؤكد علىٰ لطفه وعنايته بهم بأن منحهم في مقابل كل رجس ابعده عنهم طهارةً ، أي أنه اعطاهم مقابل الشك يقيناً ، ومقابل الشرك درجات التوحيد ، ومقابل النفاق درجات الاخلاص ، وكذلك حباهم مقابل كل صفة غير مستحبة

---

(١٤) مسند احمد بن حنبل (ج٣ ، ص٢٥٩) .

أذهبها عنهم ، خلقاً حسناً وزينهم بأنواع الطاعات والعبادات في مقابل انواع الذنوب التي أوقفها عنهم .

نقطة أخرىٰ تلاحظ في هذه الآية الشريفة يعلم منها وقف العصمة علىٰ هذه الأنوار الطيبة تتضح بعد التدقيق في كلمتي (إنما) و(عنكم) حيث ان كلمة (إنما) أفادت النفي والاثبات أي أن الله شاء ان تكونوا انتم أهل البيت فقط معصومين ولم يشأ هذا لغيركم ، وكذلك قال رسول الله : اللهم ان هؤلاء أهل بيتي ولم يقل من أهل بيتي ، أي اللهم هؤلاء (فقط أهل بيتي) وليس (من أهل بيتي) ، لأن ذلك يعني وجود غيرهم أيضاً .

الزوجات لسن في آية التطهير

بعض المفسرين ممن حرفتهم دعايات الأمويين واعداء أهل البيت يغضون النظر عن كل هذه الأحاديث المعتبرة والروايات المتواترة عن السنة والشيعة ، ويقولون ان هذه الآية نزلت في حق زوجات النبي ، وجوابنا لهم هو :

أولاً : ان هذا التفسير يعتمد علىٰ ابداء رأي واجتهاد مقابل نصوص صريحة وأحاديث متواترة صحيحة وعجبا لرفضهم لكل تلك الروايات التي نقلها العامة والخاصة عن الرسول (ص) بأنه قال إن المقصود بآية التطهير هو الخمسة الطيبة إلىٰ الحد الذي منع فيه أم سلمة من دخول تحت الكساء لئلا يقول احد ان هذه الآية تشمل الزوجات ، ولقول رسول الله الذي هو صاحب القرآن وتفسيرهم القرآن بحسب رأيهم وهذه جرأة كبيرة علىٰ الله ورسوله .

ثانياً : لو كانت هذه الآية موجهة إلىٰ النساء لقال تعالىٰ (عنكنّ) ولم يقل (عنكم) لأن المخاطب هو النساء لذا وجب أن يكون الجمع جمعاً مؤنثاً وليس جمعاً مذكراً .

ولو قيل أن صدر الآية موجه إلىٰ الزوجات ، اذن فجملة (إنما يريد الله . . . إلىٰ أخره يجب ان تكون موجهة لهنّ أيضاً ، فالجواب :

اولاً : ليس لدينا دليل علىٰ ان جملة (إنما يريد الله . . .) إلى آخرها

هي جزء من الآية ، بل أن ظاهر الآيات المتواترة هو أن آية التطهير نزلت منفصلة على الرسول وتلاها هو على أهل بيته ، وقد جعلت جزءاً من آيةٍ عند جمع القرآن ابان حياته أو بعد وفاته ، وبديهي لدى الجميع ان نظم وتأليف القرآن الكريم لا يتطابق مع كيفية نزوله .

ثانياً : وعلى فرض أنها كانت جزءاً من آية فنقول ان تحول الكلام من صيغة الغائب إلى صيغة المخاطب ، أو من المخاطب إلى مخاطب آخر في المواضع المناسبة هو من فنون البلاغة ، وله نظائر في القرآن الكريم من جملتها : ﴿ **انه من كيدكن ان كيدكن عظيم ، يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك** ﴾[١٥] ، في هذه الآية الشريفة الواقعة في سورة يوسف جاءت جملة (يوسف اعرض عن هذا بين جملتين المخاطب فيهما هو زوجة عزيز مصر (زليخا) أي ان المخاطب أولاً زليخا ثم يوسف ثم زليخا وهي جملة منسجمة جداً من حيث بلاغتها ، وعلى هذا فأن وقوع آية التطهير الخاصة بالخمسة الطيبة بين الآيات الخاصة بالزوجات ليست فقط لا تتنافى مع بلاغة القرآن الكريم وحسب ، بل تعد من فنونه وهي جميلة جداً للتنوع في الخطاب وجمال اللفظ ، وإن قيل ان آية التطهير تشمل الزوجات أيضاً اضافة إلى الخمسة الطيبة فالجواب هو أن الروايات المتواترة خصوصاً الواردة منها عن أم المؤمنين أم سلمة تدحض هذا الإشراك وفيها قيل علناً ان آية التطهير خاصة بهؤلاء الخمسة إلى الحد الذي قالت فيه ـ أم سلمة ـ ان رسول الله لم يجعلني ضمن أهل البيت .

بحر الولاية والنبوة

من جملة الآيات النازلة في شأن أهل بيت العصمة والطهارة قوله تعالى في سورة الرحمن ﴿ **مرج البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ لا يبغيان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان** ﴾[١٦] ، أما معناها الباطني فقد

---

(١٥) سورة يوسف/ الآيتان (٢٨ ، ٢٩) .
(١٦) سورة الرحمن/ الآيات (١٩ ، ٢٢) .

نقلت في كتاب غاية المرام سبعة أحاديث عن العامة وخمسة عن الخاصة بأن المقصود بالبحرين هو بحر الحكمة والولاية أي علي (ع) وبحر العصمة والنبوة أي فاطمة (ع) اللذان مزجهما الله ببعضهما ولم يتمرد أي من بحري الفضيلة هذين علىٰ بعضهما ، البرزخ اشارة إلىٰ الوجود المبارك للرسول ، واللؤلؤ اشارة إلىٰ الحسن والمرجان إلىٰ الحسين[١٧] .

روي عن ابي ذر أنه قال(البحرين) هما علي وفاطمة واللؤلؤ والمرجان هما الحسن والحسين ، ثم قال : من مثل هؤلاء الأربعة لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم الا كافر ، فكونوا مؤمنين بحبهم ولا تكونوا كافرين بفضل أهل البيت بسبب العداوة ، فمن كان هكذا فسيكون في عذابين .

ولمعرفة سائر آيات القرآن الكريم التي وردت فيها اشارة إلىٰ عظمة شأن أهل البيت بالأخص فاطمة سلام الله عليها والأحاديث الواردة في مقامها يراجع كتاب غاية المرام .

مجموعة أخرىٰ من فضائل الزهراء (ع) هي المعجزات والكرامات الباهرة واستجابة الدعوات التي ظهرت من مخدرة العالمين هذه وكنموذج نذكر بعض هذه الروايات .

روي في كتاب (الخرائج والجرائح) عن سلمان الفارسي أنه قال : رأيت فاطمة (ع) جالسة وامامها الرحىٰ تطحن بها مقداراً من الشعير والحسين (ع) يبكي بكاءاً شديداً وقطب الرحىٰ قد تلطخ بالدم فقلت يا بنت رسول الله لا تتلفي يديك المباركة اكثر من هذا فوصيفتك فضة حاضرة فأوكلي إليها الطحن ، فقالت : لقد اوصاني النبي بأن يكون العمل في المنزل بالتناوب فيوم لفضة ويوم لي وقد كانت نوبتها يوم أمس ، قال سلمان : قلت لها أنا عبدك المحرز فاختاري اما ام أطحن لك الشعير أو اهدىء لك الحسين فأجابت أنا أقدر علىٰ تهدئة الحسين فلا بأس بأن تطحن أنت الشعير مقداراً منه واتخذت سبيلي إلىٰ المسجد ثم اديت صلاة الظهر مع الرسول بعدها رويت لعلي (ع) ما جرىٰ فبكىٰ

---

(١٧) لمعرفة التفسير الظاهري لهذه الآيات يمكن الرجوع لكتب التفسير .

وغادر المسجد وحين عاد كان مبتسماً ، سأله رسول الله عما جرىٰ فأجاب : دخلت علىٰ فاطمة فوجدتها مستلقية علىٰ ظهرها والحسين نائم علىٰ صدرها والرحىٰ تدور لوحدها تبسم الرسول (ص) وقال : يا علي الم تعلم ان لله ملائكة يتنقلون في الأرض لخدمة محمد (ص) وآل محمد حتىٰ تقوم القيامة(١٨) .

نزول المائدة في قصة الاعرابي والضب(١٩)

في الجزء العاشر من (البحار) وفي (المناقب) والكتب الأخرىٰ بسنده إلىٰ ابن عباس أن اعرابيا من قبيلة بني سليم اصطاد في الصحراء ضباً ووضعه في كمه واتخذ طريقه إلىٰ المدينة وحين دخل مسجد رسول الله وقف أمام النبي ونادىٰ يا محمد ، يا محمد! وكان من عادة الرسول اذا ناداه احد ان يجيبه بما نادىٰ ، أي ان يقول لمن ناداه يا أحمد أو يا أبا القاسم بما ناداه به ، وحين يناديه أحد يا رسول الله تتهلل اساريره ويجيب لبيك وسعديك ، وبما ان الاعرابي نادىٰ يا محمد فقد أجاب الرسول يا محمد بعدها شرع الإعرابي في الكلام وقال : انت لساحر الكذاب الذي ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء من ذي لهجة هو أكذب منك انت الذي تزعم ان لك في هذه الخضراء الهاً بعثك إلى الاسود والابيض ؟ واللات والعزىٰ لولا اني اخاف أن يسميني قومي العجول لضربتك بسيفي هذا ضربة اقتلك بها فأسود بك عند الأولين والآخرين ، حين رأىٰ عمر بن الخطاب هذه الجرأة من الاعرابي نهض وقال : اءذن لي يا رسول الله لأقتله ، قال الرسول : اجلس يا ابا حفص فقد كاد الحليم ان يكون نبياً ، ثم التفت إلىٰ الاعرابي وقال : يا أخا بني سليم هذا شأن ودأب الاعراب يحملون علينا في مجالسنا ويواجهوننا بكلام فظ غليظ قاسٍ ، يا اعرابي والذي بعثني بالحق ان من كان خاسراً في الدنيا عذب في الآخرة بنار جهنم ، ويا اعرابي والذي اختارني رسولاً ان ملائكة السماء السابعة يسمونني أحمد الصادق ، يا اعرابي أسلم وانج من نار جهنم ليكون لك مالنا وعليك ما علينا وتكون اخانا في الاسلام .

---

(١٨) عن رياحين الشريعة (ج١ ، ص١٢٦ ـ ١٢٧) مع الاختصار والتصرف في العبارة .
(١٩) بحار الأنوار الجزء العاشر .

عزّ هذا الكلام على الاعرابي فغضب وقال : واللات والعزى لن أؤمن لك يا محمد حتىٰ يؤمن هذا الضب ثم اخرجه من كمه وحين استقرّ ـ الضب ـ على الأرض هرب فقال له الرسول اقترب مني فتوجه إلىٰ النبي وهو ينظر إليه ثم سأله من انا ؟ اجاب الضب بلسان فصيح : أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، سأله الرسول : من تعبد ؟ اجاب : أعبد الرب الذي فلق الحب واتخذ ابراهيم خليلا وانتجبك وجعلك حبيبه ، ثم انشد ابياتا في مدح الرسول وسكت بعدها ولم يتكلم .

حين رأى الاعرابي ذلك قال : يا للعجب! ان الضب الذي اصطاده انا واحبسه في كمي والذي لا يفقه علما وليست له فصاحة عقل يكلم محمداً بهذا الشكل ويشهد بنبوته فمن أكون انا كي لا اخضع ولا اشهد بعد رؤية آية كهذه يا رسول الله هات يدك لأبايعك فأنا أشهد ان لا اله الا الله واشهد انْ محمداً عبده ورسوله ، حين اسلم الاعرابي أمر الرسول اصحابه بأن يعلموه سوراً عدة من القرآن الكريم ، بعدها قال له : يا اخا العرب كم لك من مال الدنيا ؟ أجاب : والذي بعثك بالحق رسولا نحن اربعة الاف رجل من قبيلة بني سليم ليس بيننا من هو افقر مني ، قال رسول الله لاصحابه : من يُركبه ناقة وانا ضامن له ان الله سيعطيه ناقة من نياق الجنة ؟ نهض سعد بن عباده وقال فداك أبي وأمي لي ناقة حمراء حبلىٰ في شهرها الثامن وهبتها للإعرابي ، قال رسول الله (ص) : يا سعد سأصف لك الآن الناقة التي سيعطيك الله إياها بدل هذه الناقة ، هي ناقة من الذهب الأحمر وجيدها من زبرجد اخضر وسنامها من الكافور الأبيض وذقنها من درّ ولجامها من اللؤلؤ الأبيض يظهر داخلها من خارجها وهذه الناقة تطير في الجنة ، ثم نظر الرسول إلى اصحابه وقال : من يعطي الاعرابي عمامة وأنا ضامن بأن يكرمه الله بتاج التقىٰ ؟ قال علي (ع) : فداك ابي وامي وما هو تاج التقىٰ ؟ فوصفه الرسول ، عند ذلك رفع علي العمامة من على رأسه ووضعها على رأس الاعرابي .

مرة أخرىٰ قال الرسول (ص) من منكم يعطي الاعرابي زاداً وأنا ضامن بأن يعطيه الله زاد التقوىٰ ؟ نهض سلمان وقال : فداك ابي وامي وما هو زاد

التقوىٰ ؟ اجاب الرسول : هو ان يلقنك الله الشهادتين حين تغادر الدنيا فأن نطقت بها فستلاقيني والاقيك وان لم تنطق بها فلن تراني ولن أراك ابداً ، خرج سلمان وطاف ببيوت جميع زوجات الرسول فلم يحصل علىٰ شيء وحين أراد العودة وقع بصره علىٰ حجرة فاطمة فقال لنفسه ربما أجد شيء في دارها فجاء ودق الباب ، نادت فاطمة من بالباب ؟ قال انا سلمان الفارسي سألته عما يريد فقص عليها حكاية الاعرابي والضب وطلب الرسول زاداً له قالت فاطمة والذي بعث محمداً بالحق لم نحصل على طعام منذ ثلاثة أيام والحسن والحسين ساء حالهما من شدة الجوع وناما جائعين كأفراخ الدجاج ولكني مع هذا لن امنع خيراً خصوصا عندما يكون قد حلَّ بباب داري ، يا سلمان خذ ثوبي هذا إلىٰ شمعون اليهودي واتِ بصاع من التمر وصاع من الشعير .

أخذ سلمان الثوب إلى شمعون وشرح له ما جرىٰ ، تناول اليهودي الثوب وقلّبه في يده ثم بكىٰ وقال هذا هو الزهد في الدنيا وهذا ما اخبرنا به موسىٰ في التوراة وها أنا أيضاً أقول اشهد ان لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ، اسلم اليهودي واعطىٰ سلمان الشعير والتمر فعاد بهما إلىٰ فاطمة فطحنت الشعير وصنعت منه خبزاً واعطته لسلمان فقال لها يا بنت رسول الله خذي قرصاً من هذا الخبز للحسن والحسين فقالت ما انفقته في سبيل الله فلن اتصرف به ، ذهب سلمان بالخبز والتمر إلىٰ النبي (ص) فسأله من اين لك هذا ؟ أجابه : من بيت فاطمة ، وبما أن الرسول لم يكن قد ذاق الطعام منذ ثلاثة أيام فقد ذهب إلىٰ حجرة فاطمة وقرع الباب ولم يكن احد يفتحه للنبي عادة غير فاطمة فعجلت بفتحه وحين وقعت عين الرسول عليها شاهد لونها المصفر وعينيها الغائرتين ، قال : يا فاطمة ما هذه الحال التي اراك عليها ؟ اجابت لم نذق الطعام يا أبت منذ ثلاثة أيام وقد نام الحسن والحسين بعد تململ واضطراب لشدة الجوع كفراخ الحمام الناحلة .

ايقظ الرسول (ص) الحسنين واجلس أحدهما علىٰ فخذه الايمن والآخر على الايسر وجعل فاطمة امامه ولف ذراعه على عنقها ، حينها جاء الإمام علي (ع) والقىٰ بيده على عنق الرسول فتوجه (ص) إلى السماء وقال إلهي

وسيدي ومولاي هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

في هذهِ الأثناء ذهبت الزهراء إلىٰ خلوتها وادت ركعتي صلاة ثم رفعت يديها إلى السماء وقالت : إلهي وسيدي هذا محمد نبيك وهذا علي ابن عم نبيك وهذان الحسن والحسين سبطا نبيك ، الهي انزل علينا مائدة من السماء كما انزلت على بني اسرائيل اكلوا منها وكفروا بها اللهم انزلها علينا فأنّا بها مؤمنون .

يقول ابن عباس : والله لم يكن كلام فاطمة قد تم بعد حتىٰ فارَ من خلفها قدح كبير رائحته اقوىٰ واذكىٰ من المسك الأذفر اخذته فاطمة ووضعته امام رسول الله ، وحين رآها امير المؤمنين قال يا فاطمة من اين جاءت هذهِ المائدة مع انها لم تكن موجودة ؟ قال رسول الله : كل يا ابا الحسن ولا تسأل ، الحمد لله الذي لم يمتني حتىٰ رزقني ولداً مثل مريم بنت عمران كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم ، انىٰ لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب .

تناول الرسول (ص) وعلي (ع) وفاطمة والحسن والحسين من ذلك الطعام ثم خرج الرسول ونادىٰ الاعرابي واجلسه على الناقة ثم صرفه .

حين عاد الاعرابي إلىٰ قبيلته نادىٰ باعلى صوته : قولوا لا إله الا الله محمد رسول الله ، وعندما سمع رجال القبيلة بهذا خرجوا وسيوفهم على عواتقهم وقالوا له هل خرجت من دينك واعتنقت دين محمد الساحر الكذاب ؟ فقال : محمد ليس ساحراً ولا كذاباً، يا معاشر بني سليم محمد خير خلق الله ومحمد خير نبي اتيته جائعا فاطعمني وعاريا فكساني وراجلاً فحملني ، ثم أنه قص عليهم قصة الضب وخطابه للرسول وقرأ علىٰ القوم الاشعار التي قرأها الضب ونصحهم بأن يسلموا لينجوا من النار .

أسلم في ذلك اليوم اربعة الآف رجل من بني سليم وهم اصحاب رايات خضر في حماية الرسول .

يقول العلامة المجلسي وجدت هذا الحديث في احد مؤلفات علماء

العامة القدماء ، وبسند آخر عن ابي بكر احمد بن علي السطريشي متصلا إلى ابن عباس .

يقول المؤلف : وجدت هذه الرواية أيضاً في كتاب (حياة الحيوان) في مادة (ضب) أيضاً ومؤلفه من مشاهير العامة .

الحوريات يزرنَ فاطمة ومعهن رطب الجنة

يروي السيد علي بن طاووس عليه الرحمة في كتاب (مهج الدعوات) باسانيد معتبرة عن سلمان الفارسي انه قال : لم اغادر البيت بعد وفاة الرسول لمدة عشرة أيام لشدة حزني وهمي ، وفي اليوم العاشر خرجت لزيارة مولاي أمير المؤمنين (ع) وعندما وقعت عينه عليَّ قال : لقد جفوتنا يا سلمان وهجرتنا بعد الرسول (ص) ، فقلت يا أمير المؤمنين كيف اهجركم ؟ لكن حزني لمفارقة الرسول (ص) جعلني جليس الدار ، فقال اذهب إلىٰ فاطمة فهي تطلبك وتريد رؤيتك وقد احتفظت لك بتحفة من الجنة ، فقلت يا أمير المؤمنين وهل تأتي بعد وفاة الرسول تحفة من الجنة إلى الزهراء ؟ اجاب : نعم لقد وصلتها امس .

ذهبت إلىٰ بيت فاطمة مهرولاً حتىٰ بلغته وحين رأتني استقبلتني بعين باكية وقالت : لقد جفوتنا يا سلمان بعد وفاة ابي وتركتنا ، فقلت يا سيدتي فداك ابي وامي ، ان كثرة حزني وهمي علىٰ فراق الرسول اجلسني في الدار ، دعتني إلى دخول الدار وجلست وهي تغطي رأسها وقالت : كنت يوم أمس جالسة هنا وكان باب الدار مغلقاً وانا افكر في كيفية انقطاع الوحي عنا وكيف تركتنا الملائكة وفجأة فتح الباب من تلقاء نفسه ودخلت عليّ ثلاث جوارٍ لم يرَ احد اجمل منهنّ ولا بنضارة وجوههن ولا عطراً احلىٰ من عطرهن وحين رأيتهن نهضت وقلت : هل انتنَّ من أهل مكة أم المدينة ؟ اجبن : يا بنت محمد لسنا من أهل مكة ولا المدينة ولا من أي بقعة من الأرض ، ولسنا سوىٰ جوارٍ من الحور العين من الجنة ارسلنا الله إليك ، نحن من عشاقك ، سألتُ من بدت اكبرهن سناً ما اسمك ؟ اجابت : مقدودة فقلت ولماذا سميت بهذا الأسم ؟ اجابت لقد خلقني الله للمقداد بن الاسود الكندي سألت الأخرىٰ عن اسمها فقالت : ذرة قلت تبدين نبيلة جداً فلماذا لك هذا الاسم ؟ قالت خلقت لأبي ذر

الغفاري صاحب رسول الله وحين سألت الثالثة عن اسمها قالت سلمىٰ ، قلت : وانت لماذا سميت هكذا ؟ اجابت : انا لسلمان الفارسي صاحب ابيك الرسول (ص) ثم اخرجن رطباً ابرد من الثلج واعطر من المسك الاذفر يقول سلمان : ثم قالت فاطمة لي افطر بهذا التمر وإءتني بنواه .

أخذت الرطب ولم اكن امرّ على جمع من أصحاب النبي (ص) ويسألونني عما اذا كان معي مسك فأجيب بنعم ، وعند الافطار وحين تناولت الرطب لم أجد ولا نواة واحدة .

في اليوم التالي وحين تشرفت بزيارة فاطمة قلت يا بنت رسول الله لم أجد نواة قالت وهو كذلك يا سلمان ان رطب الجنة خال من النوىٰ ، وهذا الرطب هو من نخل ينبته الله في الجنة كما علمني أبي محمد (ص) ورداً ، وأنا اقرأه بكرة وعشياً ، قلت : هل يمكن يا سيدتي أن تعلميني هذه الكلمات ؟ فقالت اذا اردت الا تصيبك آفة الحمىٰ ما دمت حياً فواظب على هذهِ وقد علمتني فاطمة ذلك الورد وعلمته انا لأكثر من ألف شخص من أهل شعاب مكة والمدينة وخلصتهم بذلك من مشقة الحمىٰ[20] ، وهذا الورد هو : (بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله النور ، بسم الله النور النور بسم الله نور علىٰ نور بسم الله الذي هو مدبّر الامور ، بسم الله الذي خلق النور من النور ، الحمد لله الذي خلق النور من النور وانزل النور علىٰ الطور في كتاب مسطور ، في رقّ منشور ، بقدر مقدور ، على نبي محبور ، الحمد لله الذي هو بالعزّ مذكور وبالفخر مشهور وعلى السراء والضراء مشكور وصلى الله علىٰ محمد وآله الطاهرين .

الزهراء تخرج يديها من الكفن

يقول أمير المؤمنين (ع) : غسّلت الزهراء بثوبها ولم اخلعه عنها حيث وجدته نظيفا وطاهراً ، ثم حنطتها وكفنتها بسبع قطع وحين أردت عقد الكفن ناديت زينب وأم كلثوم والحسن والحسين وفضة أن تزودوا من امكم فهذا آخر لقاء وسيكون اللقاء الآخر يوم القيامة .

---

(٢٠) رياحين الشريعة (ج١ ، ص١٣٤ ـ ١٣٦) مع اختصار في العبارة .

عندما القىٰ الحسنان بنفسيهما على نعش امهما وهما يوَلْولان ويضجأن بالصراخ ياحسرتاه ويلتاه لن تخمد نار فراق جدنا محمد المصطفىٰ (ص) وامّنا فاطمة الزهراء في قلوبنا أبدا ، يا أم الحسنين متىٰ رأيت جدنا فبلغيه عنا السلام واخبريه بأنك تركتنا في الدنيا يتامىٰ .

يقول الإمام علي : أشهد الله بأن فاطمة أنّت ورفعت يديها وضمت الحسن والحسين إلىٰ صدرها فنادىٰ حينها هاتف من السماء ان يا ابا الحسن امسكهما فقد ابكيا ملائكة السماء .

فلم اجد حيلة من رفعهما عن صدر فاطمة ولففتها بثوبها الداخلي[٢١] .

الزهراء في محراب العبادة

روىٰ الصدوق في كتاب (الأمالي) رواية مفصلة عن ابن عباس حتىٰ قال فيها : قال رسول الله (ص) واما ابنتي فاطمة فأنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين وهي بضعة مني وهي نور عيني وثمرة فؤادي وهي روحي التى بين جنبيّ وهي الحوراء الإنسية مني قامت في محرابها بين يدي ربها جلّى جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض ويقول الله عز وجل لملائكته : يا ملائكتي انظروا إلىٰ أمتي فاطمة سيدة إمائي قائمة بين يدي ترتعد فرائصها من خيفتي وقد اقبلت بقلبها علىٰ عبادتي ، أشهدكم اني قد آمنت شيعتها من النار . . .

وقد ورد في روايات كثيرة أن الشفاعة الكبرىٰ منوطة بالصديقة الطاهرة وبعض هذه الروايات جاء في الكتاب الجليل (عيون اخبار الرضا (ع)) كما ذكر في سائر الكتب وخلاصته مضمونها أنه لن يبقىٰ في القيامة أحد في قلبه ولو ذرة من حبّ الزهراء لانالته شفاعتها ، بل ان من أحب محبيها أيضاً لن يحرم من تلك الشفاعة .

---

(٢١) رياحين الشريعة (ج١ ، ص٨١ ـ ٨٢) مع تغيير طفيف في العبارة .

رواية جابر في شفاعة فاطمة

يروي فرات بن إبراهيم بسنده عن الإمام الصادق (ع) أنه قال : قال جابر بن عبد الله الانصاري للإمام الباقر يا ابن رسول الله علمني حديثاً في فضل جدتك فاطمة الزهراء كلما رويته في مجلس من مجالس الشيعة عمهم الفرح والسرور ، قال الإمام الباقر : حدثني أبي عن جدي عن رسول الله (ص) أنه قال : تنصب في يوم القيامة منابر من نور للأنبياء ويكون منبري اعلىٰ المنابر ، ثم يقول الله عز وجل : يا محمد اخطب وسأخطب أنا خطابا لم يسمعه احد من الأنبياء ، بعد ذلك تنصب للأوصياء منابر نورانية ويكون منبر وصيي علي ابن ابي طالب اعلىٰ المنابر ثم يأمر الله تعالى عليا بأن يلقي خطابا فيلقي ولا شك خطابا لم يسمعه الأوصياء أبداً بعد ذلك تنصب لابناء الأنبياء منابر من نور وينصب لسبطيّ الحسن والحسين اللذين هما ريحانتاي في حياتي منبران من نور ويأمر الله تعالىٰ كلا من السبطين ان يلقي خطابا فيلقي كل منهما خطابا لم يسمع مثله احد من ابناء الأنبياء والمرسلين ابداً ، عندها ينادي جبريل اين فاطمة بنت محمد وخديجة بنت خويلد وآسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وام يحيىٰ ؟ فينهضن فيقول الله تعالى لمن العزة اليوم ؟ فيجيب محمد وعلي والحسن والحسين : لله الواحد القهار فيقول الله : اليوم منحت العزة لمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين .

الزهراء تذهب إلىٰ الجنة بجلال

يا أهل المحشر اخفضوا رؤوسكم وغضوا ابصاركم ، ها هي الزهراء تعبر إلىٰ الجنة ، في هذه الاثناء يجعل جبرئيل أمامها ناقة من نياق الجنة رحلها من ديباج وركابها من مرجان ومقودها من عناقيد اللؤلؤ البراق فتمتطيها ويسير مئة الف من الملائكة عن يمينها ومئة الف عن شمالها يقومون علىٰ خدمتها ومئة الف يحملونها على أجنحتهم ويهبطون بها بباب الجنة ثم تتوقف الزهراء ولا تدخل الجنة وبصرها متجه نحو صحراء المحشر ، فيجيء الخطاب : يا بنت حبيبي لماذا القلق وقد أمرتك بدخول الجنة ؟ فتجيب : يا إلهي اودّ أن يعرف قدري اليوم وتعلم منزلتي ، فيجيء الخطاب . يا فاطمة انظري إلىٰ القلوب

فمن وجدت فيه شيئا من حبك وحب ابنائك فخذي بيده وادخليه الجنة .

عند ذلك قال الإمام الباقر : يا جابر والله ستنتقي الزهراء في ذلك اليوم شيعتها ومحبيها من بين الناس كما يلتقط الدجاج الحب الجيد من بين الحب ، ثم تحضر الزهراء بصحبة شيعتها عند باب الجنة فيلقي الله في قلوبهم ان يلتفتوا جهة المحشر فيأتي الخطاب لماذا اضطرابكم وهذِهِ فاطمة بنت حبيبي قد شفعت لكم فيقولون : ربّنا اننا نريد أن يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم ، فيقول تعالىٰ : يا احبائي تطلعوا إلىٰ الجمع فمن احبكم علىٰ حب فاطمة ، ومن اطعمكم على حب فاطمة ، ومن كساكم علىٰ حب فاطمة ومن سقاكم علىٰ حب فاطمة ، ومن منع عنكم غيبة علىٰ حب فاطمة ، فخذوا بيده وأدخلوه الجنة .

يقول الباقر عليه السلام : والله لا يبقىٰ الاّ شكاك أو كافر أو منافق(٢٢) .

---

(٢٢) رياحين الشريعة (ج١ ، ص١٣٢ ـ ٢٣٤) مع تغيير طفيف في العبارة .

المحاضرة الثانية

لا شك أنه لا توجد لدىٰ الأنبياء والائمة عليهم السلام ذرة واحدة من هوىٰ النفس ، ولو كان الأمر غير ذلك لما وجدوا لهم طريقاً إلىٰ الحضرة الإلهية ، وان من يبغي القرب لتلك الحضرة ينبغي ان يتجه بملء قلبه إلىٰ رب العالمين ، وان يعتبر نفسه وكل ما يملك فانياً امام الله سبحانه ، وبعبارة أخرىٰ ان تكون جميع تصرفاته لله ﴿ **قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين** ﴾[1] .

وان درجات قرب سائر أهل الإيمان تقاس بنفس الميزان فكل من كانت منه محبة لغير الله ، فانه بعيد عن الله بنفس المقدار ، فلو كان احد يرىٰ ان أولاده وماله وشهرته ورئاسته .

اعزّ لديه من الله ، فليعلم أنه لا طريق له نحو الحضرة الإلهية كما جاء في الآية الكريمة ﴿ **قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احبَّ اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فتربصوا حتىٰ يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين** ﴾[2] .

أي أنه ان كان كذلك فلا يحرم من القرب وحسب ، بل يطرد من هذه

---

(١) سورة الانعام/ الآية(١٦٢) .
(٢) سورة التوبة/ الآية(٢٤) .

الحضرة ، ومن كان ماله اعزّ عليه من الله فقيمته ذلك المال ، فكيف يجد الطريق إلىٰ الله ؟ ولو كان أخذ معه اثناء الموت مقداراً من حب الدنيا العُوِّق عمله بنفس مقدار ذلك الحب ، والله يعلم كم سيطول مكثه في البرزخ أو القيامة حتىٰ يطهر .

نعم ، فالانسان ما لم يتخذ طريقاً واحداً لا يبغي فيه سوىٰ الله ولا يحب ابداً أي شيء غيره ، فلن يحظىٰ بالقرب الكامل من الحضرة الإلهية .

لقد قرأتم القرآن فانظروا أي اختبارات اختبر إبراهيم الخليل حتىٰ بلغ مقام القرب والخلّة ، فقد رزقه الله في شيخوخته وآخر عمره شاباً في غاية الحسن والجمال من حيث الشكل والسلوك ، ثم أمره ان يضحي بهذا الولد لله[٣] ، ليختبره : اتحب اسماعيل أكثر أم ربّ اسماعيل ؟ وهل ان محبتك لإسماعيل هي لكونه ابنك أم لأجل رب اسماعيل ؟ وهل ترىٰ جمال اسماعيل ، أم الجميل المطلق الذي منه جمال اسماعيل ؟ ولقد نجح حقاً في الامتحان[٤] ، وقد سمعتم بهذا فلا ضرورة للتفصيل .

لماذا يفضل الناس الولد علىٰ البنت ؟ انهم يقولون ان الولد ينفعنا في شيخوختنا ، وهذا دليل علىٰ فساد القلب حيث تقل محبة الله ، فيريد الولد لنفسه لا لله .

كان حب يعقوب ليوسف الهياً

يوجد للعلامة المجلسي عليه الرحمة تحقيق لطيف في حب يعقوب لابنه يوسف ، حيث يقول : لا ينبغي لأحد ان يظن ان حب يعقوب ليوسف كان لأجل جماله أو للعاطفة الابوية ، هيهات! هذا سوء ظن بمقام النبوة (لا تقيسوا عمل الأطهار بأنفسكم) ، ولم يكن بكاء يعقوب عند فراق يوسف لكونه ابنه ، بل لأنه كان يعلم ان الله تعالىٰ اختاره من بين ابنائه الأثني عشر ، ولأن يوسف كان موضع عناية الهية خاصة ، ولذا كان يحبه اكثر ، ﴿ **اذ قالوا ليوسف وأخوه**

---

(٣) ﴿ **قال يا بني اني ارىٰ في المنام أني اذبحك** . . . . ﴾ سورة الصافات/ الآية(١٠٢) .
(٤) ﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾ سورة الصافات/ الآية(١٠٧) .

احبّ إلىٰ ابينا منا ونحن عصبة ، ان أبانا لفي ضلال مبين ﴾[٥] ، ولم يكونوا يعلمون ان حب يعقوب ليوسف كان بسبب حب الله ليوسف .

إن الأنبياء إذا أحبّوا أحداً أو ودّوه ـ ولو كان ولداً ـ إنما يكون ذلك لأسباب إلهية ولا علاقة للميول النفسية في ذلك .

حبَ النبي للزهراء كان الهياً أيضاً

كانت تلكم مقدمة لتوضيح علاقة خاتم الأنبياء محمد بالصدّيقة الكبرىٰ فاطمة الزهراء (ع) ، فحب النبي لها كان لأجل الله فقط ، ولا دخل لأي أمر آخر في ذلك من قبيل كونها ابنته الوحيدة بل لأنه قد رأىٰ جلال قدر وعظمة شأن هذه البنت عند الله .

ففي ليلة المعراج قطف الرسول الأكرم من شجرة طوبىٰ تفاحة وقسمها إلىٰ نصفين فظهر من وسطها نور ، وحين سأل الرسول جبرائيل عن ذلك النور ، اجاب : نور المنصورة في السماء وفاطمة علىٰ الأرض ، فسأله الرسول : لماذا هي منصورة في السماء ؟ اجاب : لأنها مؤيدة من الله يوم القيامة بالشفاعة ، فأكل الرسول تلك التفاحة ، وانعقدت نطفة الزهراء من تلك التفاحة ، أي ان أصل جسم الزهراء من عالم آخر ، ومن الجنة ، لذا كان طيباً وطاهراً .

وكان الرسول (ص) يرىٰ الزهراء تتحدث مع أُمها خديجة وهي في بطنها ، وقد نطقت لدىٰ ولادتها بالشهادة بوحدانية الله ورسالة ابيها وولاية بعلها وابنائها .

فلأن الرسول (ص) كان يرىٰ الله قد اختار هذه الفتاة من بين نساء العالم ، كان يحبها ذلك الحب الذي هو في حقيقته علاقة عظيمة بالله لا دخل له ولابنته فيها .

وقد روىٰ علماء الفريقين عن النبي أنه قال (من آذىٰ الزهراء فقد آذاني ومن احبها احبني) ، لقد ادرك عظمة شأنها إلىٰ الدرجة التي كان يقبّل فيها

---

(٥) سورة يوسف/ الآية(٨) .

يدها ، نعم ، اب كخاتم الأنبياء محمد يقبل يد ابنته الزهراء ، ولقد ورد في احاديث معتبرة عن رسول الله أنه قال (ان الله جعل في الأنبياء رائحة سفرجل الجنة ، وفي الحور العين رائحة ياسمين الجنة ، وفي الملائكة رائحة الورد الجوري الذي في الجنة ، وجمع في ابنتي الزهراء العطور ثلاثتها[٦] .

أي أنه جمع فيها رائحة الأنبياء ورائحة الحور العين ورائحة الملائكة ، ترىٰ . أليس حرياً بالنبي ان يحب ابنته بهذا الشكل ، وكلما رآها كان يسرّ لأنها طليعة أهل الجنة ، وتجلب معها رائحة الجنة ، وحين يرىٰ محبوبة الله قادمة ينهض قائماً ويقول : فداها ابوها ، رضا وغضب الله من رضا وغضب فاطمة من رضيت الزهراء عنه ، يرضىٰ الله عنه ، ومن غضبت الزهراء عليه غضب الله عليه[٧] .

ردّ عمر بن عبد العزيز على بني أمية

ورد في التواريخ ان الخليفة عمر بن عبد العزيز عندما أعاد (فدكاً) إلىٰ اولاد فاطمة ، اعترض عليه بنو امية قائلين : لماذا فضلّت اولاد فاطمة علينا ؟ فاجاب : الم تسمعوا قول رسول الله (ص) من رضيت عنه الزهراء رضي الله عنه ، وأنا ليس لي حسنات فلعل الزهراء تفرح بعملي هذا .

وان هذا الحديث متفق عليه بين السنة والشيعة .

---

(٦) رياحين الشريعة ، الجزء الأول .
(٧) بحار الانوار الجزء العاشر .

المحاضرة الثالثة

يقع الإنسان بحسب الفطرة بين عالمين هما النور والظلام أي ان له اتجاهين ، احدهما الهي وهو عالم النور ، والمبدأ العلوي والآخر السفلي وعالم الدنيا والشهوات الذي يعبر عنه بعالم الظلام والمادة ، ويقتضي الأمر بالدرجة الأولىٰ ان يكون الاتجاهان موجودين لدىٰ كل انسان ليُعلم في أي عالم يكون قلبه : النور أم الظلام ؟

فكل حركة يقوم بها الإنسان تابعة لقلبه ، فالقلب بمنزلة السلطان لمملكة البدن ، وارادة السلطان تدور مدار الانتباه والرغبة فحين يكون القلب متجهاً إلىٰ الله والعالم الباقي والمعنويات ، فإن الحركات التي تصدر عنه في تلك الاثناء كلها ذات وجهة الهية وجزء من الحسنات حتىٰ ولو كانت من المباحات من قبيل الأكل والشرب والنوم ، وعلىٰ العكس من ذلك فحين يكون القلب متجهاً إلىٰ الدنيا وحب الشهوات فإن كل حركة تصدر عنه هي ظلام في ظلام حتىٰ لو كانت من الأعمال الصالحة والعبادة كالأنفاق فيجب الانتباه إلىٰ القلب اين هو ؟

فالإنسان غالباً في صراع ، وعلة تسمية القلب بهذا الاسم هو لتقلباته وتحولاته التي تتخذ اشكالاً مختلفة كشاشة السينما فمثلاً يكون القلب الآن في شوق إلىٰ لقاء الله والمحبة والنور ، وبعد ساعة يمتلأ القلب الظلماني بالآمال والشهوات ، فصاحب قلب كهذا ما يزال متقلباً ، وما لم يستقر علىٰ جانب

واحـد ، فلن يغادره الاضـطراب والتغير ولم يبتعـد عن الخـطر ، كمـا لم يفـز بالسعادة .

قال الراوي في الكتاب الجليل ، اصول الكافي : التقيت بأحد اصحاب النبي (ص) فرأيته باكياً فسألته : ما بالك ؟ فقال : ارىٰ نفسي ـ وانا في مجلس الـرسول ـ وكـأنني في الجنة ، وليس في بـالي شيء من حب الدنيـا والخيـال والاوهام ، الاّ انني بعد مغادرتي المجلس لا أرىٰ تلك الحالة لديّ ، ويبدو من ذلك انني من المنافقين .

فقلت : عجباً! وانا كذلك أيضاً ، فتعال اذن نـذهب إلىٰ الرسـول ونبثه همّنا ، فأجابهما الرسول (ص) : لو انكم تديمون علىٰ ما انتم عليه لصافحتكم الملائكة ، ولكن ساعة وساعة .

والهدف من ذلك ان يقال لهما : ان هذا حسن ، فاذهبا واشكرا ربكما ان سنحت لكم هذه الساعة الخالصة لله ، وليس لكما ارتباط بغيره فيها ، وان شاء الله تكون هذه الحالة ملكة إلىٰ آخر العمر .

كان كل ذلك مقدمة .

قلوب الانبياء لا تتقلب كقلوب الآخرين

كما ذكر في الليلة السابقة فان الأنبياء مستقرون وراسخون في الجـانب النوراني وليس لديهم ذلك التقلب والاضطراب والغفلة التي لدىٰ الآخرين ، بل هم دائماً منشغلون بذكر الله ، لا تجد الغفلة والظلام طريقاً إلىٰ قلوبهم ، وهذا هو مقام العصمة الذي طالما تسمعون به ، أي ان الله يحفظهم من كل زلة ، فلا ذنب ولا سهو ولا غفلة ولا هوىٰ ورغبة .

النبي والإمام نوران محضان ، اذن فالتصرفات التي تصدر عنهما هي نور أيضاً ولها صفة إلهية ولو كانت من المبـاحات ، فـالنبي والامام لا يتكلمـان ابداً بكلام نابع من هوىٰ النفس بل ان كل ما يقوله هو من الإلهام ووحي المبدأ كما هو في صريح القرآن : **﴿ وما ينطق عن الهوىٰ ، ان هو إلا وحي يوحىٰ ﴾** ، بل يقول تعالىٰ : **﴿ ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا**

منه الوتين ﴾ لذا سأتكلم بما يؤيد ما قلته في الليلة السابقة :

معاملة الرسول للزهراء (ص)

ان كل التصرفات التي بدرت من الرسول تجاه الزهراء كانت إلهية ولم يكن قيد شعرة منها يعود لعلاقة الابوة والنبوة ، محمد الذي ليس له غير الشؤون الإلهية يقبل يد الزهراء ، وحين يريد السفر يودع الزهراء اولاً وحين يعود أيضاً يذهب لزيارة الزهراء أولاً ، بل لا يدخل منزلها ابداً دون إذنها فقد كان الرسول يأتي مراراً إلىٰ دار الزهراء ويقول عند الباب : (السلام عليكم يا أهل بيت النبوة) فان لم يسمع جوابا عاد .

رواية عن الزمخشري المفسر السني

نقل الزمخشري وهو من مفسري ومحققي العامة في كتابه (ربيع الابرار) هذه الرواية : قال رسول الله (ص) هؤلاء الذين أمر الله تعالىٰ بمودتهم فاطمة وعلي والحسن والحسين ، فاطمة مهجة قلبي وعلي قرة عيني والحسن والحسين ثمرة فؤادي واوصيائي من نسل الحسين امناء ربّ العالمين هم حبل الله ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** ﴾ ، كما ذكر السيد علي الشافعي الرواية وقال بأن الرسول (ص) قال :[3] يا سلمان : من احب فاطمة ابنتي فهو في الجنة معي ومن ابغضها فهو في النار ، يا سلمان حب فاطمة ينفع في مائة موطن ايسر تلك المواطن الموت والقبر الميزان والمحشر والصراط والمحاسبة فمن رضيت عنه ابنتي فاطمة رضيتُ عنه ومن رضيتُ عنه رضي الله عنه ومن غضبت عليه فاطمة غضبت عليه ومن غضبت عليه غضب الله عليه ، يا سلمان : ويل لمن يظلمها ويظلم ذريتها وشيعتها . . .[4] .

ومما ذكرناه في الليلة الماضية وهذه الليلة اتضحت إلىٰ حدّ ما عظمة شأن فاطمة من علاقة ابيها بها .

---

(١) سورة النجم/ الآيتان(٤و٥) .
(٢) سورة الحاقة/ الآيات (٤٥/٤٦/٤٧) .
(٣) ينابيع المودة الجزء الثاني الصفحة(١٩) .
(٤) بحار الانوار الجزء السابع الصفحة(٥٣٩) .

المحاضرة الرابعة

يقول بعض المحدثين في شرح فضائل وعظمة شأن الصديقة الكبرىٰ فاطمة الزهراء (ع) أن ما كان للأنبياء من الفضائل قد اجتمعت كلها في الزهراء ، فآدم ابو البشر خلق من تراب بينما خلقت الزهراء من فاكهة من الجنة كما سبق شرحه ، وآدم هو ابو البشر والزهراء ام المعصومين وأم الأنوار الطيبة والذرية الطاهرة لآل محمد الذين هم سبب إيجاد العالم .

الاخراج من الجنة والوعد بالجنة

أخرج آدم من الجنة بعد عصيانه لأمر الله واكله من الشجرة التي نهاه الله عنها ﴿ **ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** ﴾[1] ، بينما اعطيت الزهراء الجنة﴿ **وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً** ﴾[2] ، على اثر اعطائها رغيف خبزها لليتيم والمسكين والاسير[3] لثلاث ليال متتالية ويطعمون الطعام علىٰ حبه مسكيناً ويتيما وأسيراً .

---

(١) سورة البقرة/ الآية(٣٦) .
(٢) سورة الدهر/ الآية(١٣) .
(٣) سورة الدهر/ الآية(٩) .

بكاء آدم ابي البشر والزهراء (ع)

ظل آدم بعد خروجه من الجنة باكيا لمئتي سنة ، وظلت الزهراء بعد وفاة والدها الذي كان جنة حقيقية تبكي طيلة الأيام الباقية من حياتها والتي هي خمسة وسبعون يوماً كما هو المشهور والتي لوحسبناها بنسبة العمر فلن تكون اقل من السنين المئتين التي بكاها آدم ، ومن حيث سبب البكاء ، فان بكاء آدم كان لفراق الجنة وبكاء الزهراء كان لفراق أبيها الذي هو اعلى واهم منزلة من الجنة .

توبة آدم ومقام الاصطفاء

لقد بلغ آدم درجة الاصطفاء والاختيار الإلهي كما ينص القرآن الكريم : ﴿ ان الله اصطفىٰ آدم ﴾[٤] ، وبعد أن بدر منه العصيان بكىٰ وأنّ كثيراً لدرجة أنه غفر ذنبه وارتفعت اضافة إلىٰ ذلك درجته ومنزلته لذا روي عن رسول الله من أنه قال ما مضمونه ان الشيطان يندم يوم القيامة علىٰ اغوائه للمؤمنين لأنه يرىٰ المؤمن يرتكب اثما ما للحظة بينما يظل نادماً على فعله طيلة عمره وهذا ، الندم يقربه من الله اكثر .

خوفها من الله وهي في مقام العصمة

واما فاطمة الزهراء وعلى عصمتها الكبرىٰ تلك ومع انها لم تذنب ولم يصدر منها حتىٰ ترك الولاء لله ، فانها ولكثرة ما بكت وتأوهت خوفاً من الله وادراكاً لعظمته ولكثرة ما ارتجفت وهي في محراب العبادة ، فأن الله يباهي بها الملائكة كما مر شرحه سابقا .

علم الاسماء ومصحف فاطمة

ان من فضائل آدم ابي البشر تشرُّفه بعلم الاسماء التي علمه الله إياها ﴿ وعلمنا آدم الاسماء كلها ﴾ وفاطمة عليها السلام هي أم الاسماء بل حقيقة المسميات ، فقد علم الله تعالىٰ فاطمة جميع العلوم علمها علم ما كان وما

---

(٤) سورة آل عمران/ الآية(٣٣) .

يكون وما هو كائن ، وقد ورد في الروايات ان فاطمة كانت تملك مصحفاً يحوي جميع العلوم وهذا المصحف موجود الآن عند الحجة صاحب الزمان عجل الله تعالىٰ فرجه الشريف .

بكاء نوح ، وسفينة النجاة

ان ثاني انبياء اولي العزم هو النبي نوح وأوجه الشبه بينهما كثيرة وكنموذج نذكر هنا بعضها .

١ ـ غدا نوح بعد غرق الناس وموتهم حزيناً باكيا ، والزهراء بكت وحزنت بعد ضياع المسلمين وهلاكهم الحقيقي اثر وفاة والدها ولكثرة بكائها عدّت من البكائين .

كان نوح مستجاب الدعوة وكذلك كانت الزهراء (ع)

٢ ـ الأمر الأخر هو ان كل من (استقر في سفينة نوح نجا) والزهراء أيضاً سفينة النجاة (مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق (هلك)) .

سلام الله والاولاد الصالحون

لقد سلم على نوح في القرآن الكريم ﴿ **سلام على نوح في العالمين** ﴾[٦] وسلم على الزهراء (ع) أيضاً ﴿ **سلامٌ علىٰ آل ياسين** ﴾[٧] ، وتمتاز الزهراء على نوح بأمور اخرىٰ منها أنه كان لنوح ثلاثة اولاد مؤمنين ومع ذلك كان له ابن كافر لم يؤمن بأبيه حتىٰ اللحظة الأخيرة وكان من المغرقين ﴿ **وحال بينهما الموج فكان من المغرقين** ﴾[٨] ، بينما وهب الله الزهراء (الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة) (والحسن والحسين امامان قاما أو قعدا) .

---

(٥) سورة البقرة/ الآية(٣٢) .
(٦) سورة الصافات/ الآية(٨٠) .
(٧) سورة الصافات/ الآية(١٣١) .
(٨) سورة هود/ الآية(٤٤) .

إبراهيم النبي (ع) ومقامه عند الله

كان إبراهيم خليل الرحمن ثالث اولي العزم من الأنبياء وقد جاء في كتاب (حياة القلوب) للمجلسي ان ابراهيم حين اختير خليلا هبط عليه ملك وقال له : ان الله تعالى ارسلني لابشر أحد عباده بالخلة فسأله إبراهيم ومن هذا الشخص ؟ فقال الملك وما تريد منه اجاب إبراهيم : أريد ان أتبرك منه ، وانتبهوا إلىٰ أنه لم يكن يحتمل أبداً ان يكون هو المقصود لأنه لا يرى نفسه بالمقام الذي يستحق ذلك ، قال الملك : هذا الشخص هو أنت فقد ارسلني الله لابشرك بأنك خليل الله وصديقه ، قال إبراهيم : إلهي لماذا اخترتني لهذا المقام ؟ جاء النداء جوابا له : لقد دعا امران إلى اختيارك اولا أنك لم تردّ سائلاً ثانيا انك لم تطلب شيئا قط من غير الله .

بيت الزهراء (ع) امل المستضعفين ورجاءهم

فاطمة الزهراء التي غدت محبوبة الله ما يقصد دارها احد وعاد يائسا ، وقد جاء في رواية ان السائلين كانوا اذا يئسوا من كل مكان اتجهوا إلىٰ دار فاطمة .

يروي عماد الدين الطبري في كتاب (بشارة المصطفىٰ) بسند معتبر عن جابر بن عبد الله الانصاري أنه قال ان رسول الله ادىٰ صلاة العصر معنا وبعد ان فرغ ظل مستقبلا القبلة وقد تحلق حوله الصحابة كالفراشات واذا بشيخ عربي كان يجر اقدامه لشدة الجوع والفقر وقد أعياه التعب حتىٰ طوى الطريق ووصل المدينة وهو يرتدي ملابس رثّة ، وحين تقدم من الرسول تفحصه فوجده لا يقوىٰ على الوقوف لكبر سنه وضعفه وجوعه ، فسأله عن حاله اجاب الشيخ : يا رسول الله انا جائع فأطعمني عريانا فأكسني ، ومسكينا فيسر لي امري .

الدال على الخير كفاعله

اجاب الرسول (ص) : انا لا املك الآن شيئا اساعدك به ولكني ادلك فالدال على الخير كفاعله ، اذهب إلىٰ بيت من يحبها الله والرسول وتحب هي الله ورسوله ، ثم امر بلال بأن يدله علىٰ دار فاطمة حين بلغ باب الدار نادىٰ

باعلىٰ صوته : السلام عليكم يا أهل بيت النبوة . . . فاجابت فاطمة : وعليك السلام ، من أنت ؟ فرد الشيخ : اعرابي ذهبت إلىٰ ابيك سيد البشر وشكوت له حالي فدلّني عليك فأرحميني يرحمك الله .

في ذلك الحين كان علي المرتضىٰ وفاطمة والحسن والحسين لم يذوقوا الطعام منذ ثلاثة أيام وكان الرسول على علم بذلك ، ومع هذا فقد اخذت الزهراء (ع) جلد الخروف الذي دبغته وكان الحسن والحسين ينامان عليه واعطته للإعرابي وقالت له : ارجو أن يفرج الله عنك بكرامة فانا لا املك الآن سوىٰ هذا الجلد ، قال الإعرابي : يا بنت محمد (ص) لقد شكوتك جوعي فماذا افعل بهذا الجلد وكيف اطفيء به نار جوعي .

عندما سمعت فاطمة بهذا خلعت قلادة كانت في رقبتها أهدتها إياها بنت حمزة بن عبد المطلب واعطتها للإعرابي وقالت خذها وبعها أرجو ان يكرمك الله بخير منها .

فرج الله ببركة القلادة

اخذ الإعرابي القلادة وجاء إلىٰ المسجد فوجد الرسول جالساً بين أصحابه فقال : يا رسول الله لقد احسنت اليّ فاطمة بهذه القلادة وطلبت إلي ان ابيعها عسىٰ أن يفرج الله بواسطتها عني ، بكىٰ الرسول وقال : كيف لا يفرج الله عنك وبنت محمد (ص) سيدة نساء العالمين قد اعطتك هذه القلادة .

نهض عمار بن ياسر وقال : اتأذن لي يا رسول الله ان اشتري هذه القلادة ؟ اجاب الرسول : لا يعذب الله من يشتريها ، سأل عمار الإعرابي : بكم تبيع هذه القلادة فأجاب : بما يشبعني خبزاً ولحماً وببردٍ يماني أستر به نفسي ودينار انفقه للوصول إلىٰ اهلي .

قال عمار بن ياسر : ساعطيك مئتي درهم وعشرين ديناراً ذهباً احمرَ وسأكسوك ببردٍ وسأوصلك علىٰ ناقتي إلىٰ اهلك وسأشبعك من خبز الحنطة واللحم ، قال الإعرابي : ما اكثر سخاءك كان لا يزال لديه بعض من غنائم خيبر التي اعطاها إياه الرسول فأصطحب الإعرابي وأوفا بما وعده به ، عاد الإعرابي

إلىٰ الرسول ثانية فسأله (ص) : هل شبعت وكسيت ؟ فأجاب نعم يا رسول الله، واصبحت غنياً أيضاً ، فقال الرسول : والآن ادع لفاطمة بالخير لأنها صنعت هكذا معك ، رفع الإعرابي رأسه إلى السماء وقال : يا رب الذي لا اعبد سواه وأنت الرب القديم الذي لا سبيل إلىٰ الحداثة إليك ويا رازقنا في كل حال ، منّ علىٰ فاطمة بشيء لم تره عين ولم تسمع به اذن فقال رسول الله : آمين ، ثم اكمل : لقد اعطىٰ الله لفاطمة في الدنيا ما قاله الإعرابي فأنا أبو فاطمة وليس في الدنيا مثيل لي ، وعلي زوج فاطمة ولو لم يكن موجوداً لما وجد من هو كفؤ يليق بها والحسن والحسين سبطا وسيدا شباب أهل الجنة ، ثم قال : أخبرني حبيبي جبرئيل ان الزهراء عندما توضع في القبر يسألها ملكان من ربك : فتقول : الله ربي ، ثم يسألانها من نبيك فتقول : أبي ، بعد ذلك يسألانها من وليك فتقول : هذا الرجل الواقف عند قبري أي علي ابن ابي طالب .

ثم سأل الرسول مرة أخرىٰ : الا أزيدكم علماً بفضل فاطمة قالوا نعم يا رسول الله قال (ص) : لقد اوكل الله جمعاً من الملائكة بحفظ فاطمة من امامها وخلفها ويمينها وشمالها ويرافقونها ما دامت حية حتىٰ تموت ويصلون كثيراً عليها وعلىٰ ابيها ويعلها وبنيها .

القلادة المباركة

بعد أن اشترىٰ عمار تلك القلادة من الإعرابي عطّرها بالمسك ولفّها ببُرد يماني وكان له عبد اشتراه من غنائم خيبر اسمه سهم استدعاه وسلمه القلادة وطلب إليه ان يأخذها إلىٰ الرسول (ص) وقال له لقد وهبتك له أيضاً الرسول وهبها بدوره إلىٰ فاطمة .

جاء سهم إلىٰ فاطمة وسلّمها القلادة فأخذتها واطلقته ، ضحك سهم فسألته عما يضحكه فقال : يا بنت رسول الله ، لقد اضحكتني بركة هذه القلادة ، فقد اشبعت جائعا وكست عريانا واغنت فقيراً واركبت راجلاً واعتقت عبداً وعادت في النهاية إلىٰ صاحبها[٩] ، وبيت القصيد هنا هو ما قاله الرسول

---

(٩) رياحين الشريعة ، الجزء الأول الصفحة(١٨١ ، إلى ص١٨٣) مع تغيير طفيف .

أول الأمر (سأدلك على مكان يُصلح فيه امرك) فالسائل لا يعود من هـذا الباب محروماً ـ خائباً ـ .

الزهراء لم تطلب شيئا من أحد

الصفة الثانية من صفات إبراهيم التي جعلته خليل الله أنه لم يكن يطلب من غير الله شيئاً ، والزهراء (س) لم تطلب أي شيء طيلة السنوات التسع التي عاشتها في بيت علي (ع) ، حتىٰ عندما كانت على فراش المرض وسألها الإمام ان تطلب ما تريد ليحضره لها فلم تطلب شيئاً ، وفي آخر الأمر قالت لا يحبذ ان تطلب الزوجة شيئاً من زوجهـا فربمـا لم يتمكن من الآتيان بـه فيخجل ، ولأن القصة تحتوي علىٰ فضائل عديدة لذا سأوردها بالتفصيل :

حكاية صحن الرمان

يـروي الشهيد الثـالث الآخونـد الملا محمـد تقي في كتابي (خصـائص فـاطمة) و(مجـالس المتقين) في المجلس السادس والثـلاثين ان امير المؤمنين دخل يوماً علىٰ فاطمـة وهي ليست على ما يـرام وقد لازمت الفـراش ، فأخـذ رأسها في حجره وقال : يا فاطمة قولي ما تريدين ؟ اجابت وهي جوهـر الحياء والعفة : لا أريد شيئاً يا ابن العم ، فألح عليها الإمام عندها قالت : لقد اوصاني ابي الا اطلب منك شيئاً فربما لم تتمكن من الآتيان به وتخجـل ، أقسم عليها الإمام بحقه ان تطلب منه ما تشتهي فقالت بما أنك أقسمت علي فسأقول ، إن أمكن الحصول على رمان فهو ينفعني .

نهض الإمام وغادر الدار ليجلب الرمان وحين سأل اصحابه قالوا ان فصله قد انقضى ولا يوجد الآن إلا عند شمعون اليهودي فقد جاؤوا له بعدة رمانات من الطائف قبل أيام .

ذهب الإمام إلىٰ بيت اليهودي ودق الباب ففتحه شمعون وحين رأىٰ الإمام قال : يا علي ما الذي دعاك إلىٰ ان تشرفنا بمجيئك إلىٰ الدار ؟ أجاب الإمام : سمعت ان عنـدك رمانـاً فجئت اشتـري منـك واحـدة لمـريض عنـدي ، قـال اليهودي : لقد بعتها جميعا وليس عندي الآن منها شيء ، وبما ان الإمام كـان

يعلم بعلم الإمامة ان واحدة منها قد بقيت لذا قال له : اذهب وتفحص فربما بقيت واحدة وانت لا تعلم بها ، قال اليهودي انا اعرف ما في داري ولا يوجد رمان ، كانت زوجة شمعون تقف خلف الباب وسمعت الحوار فقالت له : لقد احتفظت انا بواحدة واخفيتها تحت الأوراق دون علمك ثم جاءت بها واعطتها للإمام فاعطاها أربعة دراهم ثمنا لها ، قال شمعون ان قيمتها نصف درهم ، ردّ الإمام : لقد احتفظت بها المرأة ذخراً وربما نفعتها يوماً فلتكن الدراهم الثلاثة والنصف المتبقية لزوجتك ، ثم عاد الإمام إلىٰ المنزل .

الإمام يعطي الرمّانة للفقير المريض

وفي الطريق سمع صوتاً ضعيفاً وأنّة من غريب ، تتبع الصوت حتى وصل إلىٰ أرض خربة وجد فيها رجلا اعمىٰ مريضاً قد وضع رأسه علىٰ التراب وهو يئن ، جلس ذلك الإمام الرحيم والرؤوف عنده ورفع رأسه وسأله : يا رجل من أنت ومن أي قبيلة ومنذ متىٰ وانت مريض ؟ اجاب : أيها الشاب الصالح أنا رجل من أهل المدائن ثقلت ديوني ولم أجد بداً من ان أركب السفينة وآتي إلىٰ المدينة وأنا أقول لنفسي لأذهب إلىٰ مولاي أمير المؤمنين عله يحل مشكلتي ويؤدي عني دَيني ، قال الإمام : وبِمَ ترغب الآن ؟ اجاب لو امكنني الحصول علىٰ رمانة فأنا أرغب في ذلك ، قال الإمام : لقد جئت برمانة إلىٰ مريضي العزيز ولكني لن أحرمك وسأعطيك نصفها ، وشرع يضع حب الرمان في فم المريض حتىٰ نفد النصف فقال المريض : لو تكرمت على بنصفها الثاني فربما تحسن حالي خجل الإمام وقال لنفسه : يا علي ان مريضا فقيرا سقط في هذه الأرض الخربة منقطعا عن الآخرين احوج إلىٰ الرعاية وربما يسر الله لفاطمة وسيلة أخرىٰ ، اعطىٰ الرجل النصف الآخر وعندما انتهىٰ من اطعامه نهض وغادر الخربة إلى داره وهو يفكر حتىٰ وصل الدار فخجل من الدخول ويده فارغة ، نظر من شق الباب ليرىٰ ان كانت فاطمة نائمة أم مستيقظة ، فوجدها تجلس متكئة وأمامها طبق من الرمان وهي تأكل ، سرّ الإمام غاية السرور ودخل المنزل حين نظر إلىٰ الطبق وجد أن رمانه ليس من رمان هذا العالم ، وعندما سأل فاطمة عن حالها اجابت يا ابن العم ما أن غادرتَ المنزل حتىٰ تعرقت عرق

الصحة وفجأة سمعت صوت الباب فذهبت فضة لتفتحه ووجدت هناك رجلا يحمل بيده طبق الرمان هذا وهو يقول ان أمير المؤمنين أرسله لفاطمة[10] .

إبراهيم وذبح الولد

القصد كان اشتراك الزهراء (ع) مع إبراهيم في صفاته لقد امتحن الله إبراهيم في ذبح ابنه ، بينما كانت الزهراء مستعدة للفداء بابنيها الحسن والحسين بدل الواحد في سبيل الله ، ولم يُذبح ابن إبراهيم بينما قتل ولدا الزهراء في سبيل الله .

مناجاة موسى والزهراء في المحراب

كان رابع الأنبياء من اولي العزم هو موسىٰ بن عمران الملقب بـ(كليم الله) لأنه كان يكلم الله في جبل الطور ، وكانت الزهراء (س) أيضاً تناجي ربها في محراب العبادة ، وقد نزلت التوراة علىٰ موسىٰ ، كان للزهراء أيضاً مصحف وبعد وفاة الرسول طرأ هم وغم عظيمان علىٰ الزهراء لاحدّ لهما فأرسل تعالى إليها ملكا يحدثها وكان علي (ع) يكتب ما يقوله الملك وقد اصبح على هيئة مصحف ، ومصحف فاطمة من المسلديات ويقول الإمام الصادق (ع) : أن أمور الماضي والمستقبل حتىٰ يوم القيامة موجودة في مصحف فاطمة .

المنّ والسلوىٰ ومائدة الجنة

نزل المن والسلوىٰ علىٰ موسىٰ وكذلك أرسل إلىٰ الزهراء عدة مرات طعام من الجنة كان في احداها رطبا جاء به ثلاث حوريات وفي المرة الأخرىٰ عندما ظلّوا بلا طعام لثلاثة أيام وجاءهم النبي بعدها دعت الزهراء ربها فنزل عليهم قدح من طعام الجنة وقد سبق شرح هذين الموضوعين .

---

(١٠) رياحين الشريعه الجزء الأول الصفحتان (١٤٢ ، ١٤٣) .

(١١) ﴿ قال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت . . ﴾ سورة مريم/ الآيتان(٣١/٣٢) .

كلام عيسىٰ بن مريم في المهد

النبي الأخر من اولي العزم هو عيسى بن مريم[11] ، الذي تكلم بعد ولادته ، أما الزهراء فقد كانت تسبح الله وتحمده وتتكلم مع أمها وهي ما تزال في بطنها ، وقد قالت بعد ولادتها مباشرة : اشهد ان لا إله الا الله وان ابي رسول الله و . . .

مريم العذراء وخديجة الكبرى

كان لعيسىٰ أم كمريم التي ميزها الله وفضلها على نساء العالمين : ﴿ **يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك علىٰ نساء العالمين** ﴾[12] ، وكان للزهراء أيضاً أم هي خديجة الكبرىٰ التي لا نظير لها في الأولين والآخرين أم المؤمنين التي هي أول سيدة آمنت بالرسول وبذلت كل ما تملك في سبيل الله .

الزهراء على خطىٰ أبيها

كانت الزهراء تشبه اباها في أوجه عدة نشير إلى بعضها :

جاء في تفسير الآية الشريفة من سورة بني اسرائيل ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة إلىٰ عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا** ﴾[13] .

أن رسول الله كان في داره عندما جاء سائل عريان ولم يكن لدىٰ الرسول ثوب سوىٰ ما كان يرتديه فخلعه واعطاه إياه وجلس متلفعا بقطعة حصير وحين حان وقت الصلاة لم يذهب إلىٰ المسجد فنزلت هذه الآية الشريفة .

الزهراء تعطي ثوب عرسها

نقل هذهِ الرواية ابن الجوزي وهو من علماء العامة الكبار : اشترىٰ الرسول للزهراء ثوباً عند زواجها وقد لبسته عند زفافها وفي الطريق (وفي رواية ابن الجوزي في بيت علي) جاء سائل وطلب منها ثوباً فخلعت ثوبها الجديد واعطته اياه ولبست ثوبها القديم وفي الغد جاء الرسول فلم يجد الثوب فسألها

---

(١٢) سورة آل عمران/ الآية(٤٣) :

(١٣) سورة الاسراء/ الآية(٢٩) .

عما جرىٰ فأخبرته فقال لها ولماذا لم تعطي ثوبك القديم ، فأجابت : يا ابت حين جاء سائل اعطيته ثوبك الوحيد وتلفعت بالحصير فأردت ان اقلدك ، ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة** ﴾[١٤] ، وفي رواية أخرىٰ (قالت اردت ان اعمل بهذه الآية : ﴿ **لن تنالوا البر حتىٰ تنفقوا مما تحبون** ﴾[١٥] ، وحسب رواية ابن الجوزي فأن جبرئيل هبط في ذلك الصباح وقال للرسول : الله يقرئك والزهراء السلام ويقول : سنعطيها ما تريد .

دعاء الزهراء لشيعتها

قالت الزهراء (س) لا أريد سوىٰ خدمته ودوام رحمته في دار السلام ، قال الرسول : انا ارفع يديّ فأرفعي أنت أيضاً يديك ، ودعا : اللهم اغفر لأمتي وقالت الزهراء آمين ، فنزل الوحي وقال : ابشرك بأن الله غفر لمحبي الزهراء ومحبي ذريتها ، قالت الزهراء اطلب من الله سجلاً بخصوص هذا الأمر ، وفجأة نزلت قطعة من الحرير كتبت عليها بقلم القدرة هذه الآية الشريفة ﴿ **كتب ربكم علىٰ نفسهِ الرحمة** ﴾ فقال الرسول : ضعي هذهِ في كفنك .

يقول ابن الجوزي : من جملة ما اوصت به الزهراء علياً هو أن يضع هذهِ القطعة في كفنها وقالت : في يوم القيامة وحين تمتد السنة النيران فسأخرج هذا السجل لانقذ محبيّ بواسطته .

(١٤) سورة الأحزاب/ الآية(٢١) .

(١٥) سورة آل عمران/ الآية(٩٢) .

المحاضرة الخامسة

تفوق قوة الرجل علىٰ المرأة

روي عن رسول الله (ص) أنه قال : (لقد كمل من الرجال كثير وما كمل من النساء إلا أربع : آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد (ص)) ، والمقصود بمرتبة الكمال هو بلوغ الكمال الإنساني في العلم والعمل أما في العلم فيجب ان يبلغ درجة العلم باليقين وأما في العمل فيجب ان يبلغ درجة العدل الحقيقي في القول والفعل والعبودية الحقيقية .

وبما ان جنس المرأة يختلف عن الرجل حيث أن القوة التي منحها الله للرجل لم يمنحها للمرأة ، ومقدار العقل والادراك الذي يتمتع به الرجل لا تتمتع به المرأة ، لذا يقول الإمام علي في نهج البلاغة (ناقصات في العقول . .)

واضافة إلىٰ القوة الباطنية فأن القوة الظاهرية للمرأة اقل أيضاً من الرجل ووزن دماغها أقل من وزن دماغه ، لذا كانت مسؤوليتها أقل من مسؤليته .

واجبات النساء محدودة

روي عن الرسول (ص) أنه قال : ان المرأة المؤمنة متىٰ ما أدت صلواتها الخمس وصامت شهرها وحجت بيت الله عند استطاعتها واعطت زكاة مالها

وأدت الخمس وما يتوجب عليها من صلة الرحم وغيرها واطاعت زوجها فستشفع لها ابنتي الزهراء ، أي أنها ستنقذها بهذا القدر وهو في الأساس استند علىٰ هذا المبدأ حين قال (لقد كمل من الرجال كثير) وهم الرجال الذين وصفهم الله تعالىٰ في القرآن ﴿ **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله** ﴾[1] ، ولكنه لا يوجد من صنف النساء سوىٰ أربعٍ كاملات .

روايات أخرىٰ

جاء في كتاب (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) في نهاية الآية(٤٢) من سورة آل عمران نقلا عن أحمد بن حنبل والترمذي والحاكم النيسابوري عن أنس بن مالك ان رسول الله (ص) قال : اشرف نساء العالم مريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد (ص) ، وآسية زوجة فرعون ، ونقل الحاكم عن ابن عباس ان رسول الله (ص) قال : افضل نساء العالم خديجة وفاطمة ومريم وآسية ، كما نقل عن الحسن أن رسول الله (ص) قال : ان الله قد اختار من نساء العالمين اربع هن آسية ومريم وخديجة وفاطمة ، وروىٰ ابن عساكر أيضاً عن ابن عباس ان رسول الله (ص) قال : سيدة نساء الجنة مريم ومن بعدها فاطمة ثم خديجة ثم آسية .

كما روىٰ أيضاً ان رسول الله (ص) قال : كانت اربع نساء سيدات زمانهن مريم وآسية وخديجة وفاطمة ، وأفضلهنّ من حيث الزمان فاطمة .

وفي كتاب الخصال روي عن الإمام موسى بن جعفر (ع) أنه رسول الله (ص) قال : ان الله اصطفىٰ من نساء العالم أربع مريم وآسية وخديجة وفاطمة .

والروايات في هذا المجال كثيرة عن السنة والشيعة ولهذا فأن من المناسب ان نسير إلىٰ أوضاع كل على حدة :

---

(١) سورة النور/ الآية(٣٧) .

١ ـ آسية بنت مزاحم زوجة فرعون

وهي أول امرأة بلغ إيمانها درجة الكمال ، وأول امرأة اخفت إيمانها وهي في بيت فرعون الكافر لسنين طويلة ، وأول امرأة آمنت بموسىٰ بن عمران ، وهذه المخدَّرة هي التي انتشلت تابوت موسىٰ من الماء واخرجت موسىٰ منه واحتضنته كشيء ثمين ، وطلبت له مرضعة ، وصنعت له مهداً من الذهب المشبك ورعته من صميم قلبها وكانت تعتني به ليل نهار .

وكم من مرة اراد فيها فرعون قتله فصرفته عن ذلك بلطائف الحيل حتىٰ أن الناس كانوا يظنونه ابنها ، وقد عاش كليم الله ثلاثين عاماً في عزّ ونعيم وحرمة بظهور الآيات الباهرة والمعجزات المتواترة بمساعدة آسية ومساندتها مع أنه آذىٰ فرعون في جميع مراحل حياته سواء عندما كان صغيراً حيث امسك مرة بيدهِ العابدة للحق ، لحية فرعون وجرّها بشدة واقتلع مقداراً من شعرها ، أو عندما اعلن دعوته وفي كل مرة كان فرعون يحاول قتله وآسية تمنعه حتىٰ أصبحت دعوته علنية فكانت آسية أول من آمن به من النساء .

آسية امرأة لا مثيل لها في الثبات

كانت هذه المرأة سيدة من سيدات الجنة والمرأة الوحيدة الراسخة الإيمان في زمانها وفي النساء اللواتي أثني عليهن في القرآن .

يقول العلامة المجلسي انها لقبت بآسية خاتون احتراماً لها وكانوا يذكرونها باحترام يفوق غيرها من النساء وقد وصفها حضرة الخاتم ترحماً وتحننا عدة مرات بحسن العقيدة ورسوخ الإيمان وكماله والثبات في الدين والاعراض عن الكفار والمشركين .

وحسب ما جاء في التفاسير والتواريخ والأخبار والسير فأنه لم تظهر منذ خلق آدم وسط عائلة كافرة امرأة علىٰ هذه الدرجة من الإيمان والثبات والاستقامة .

نقل عن رسول الله أنه في يوم القايمة تأتي آسية بصحبة سبعين الف حورية يحملن رايات التسبيح لاستقبال سيدة النساء فاطمة (س) ، وأخيراً فأن

كل مجلس تحضر فيه فاطمة ، تحضر آسية ومريم وهذا الإيمان الكامل والقوي الذي ، تمتعت به كان مقتصراً عليها لوحدها في آل فرعون .

يقول الصدوق في كتاب (الخصال) ان جابر بن عبد الله الانصاري نقل عن الرسول أنه قال: ثلاثة لم يكفروا بالوحي حتىٰ بمقدار طرفة عين : مؤمن آل فرعون وعلي بن ابي طالب وآسية زوجة فرعون ، وحسب رواية المجلسي في الجزء الخامس من (بحار الانوار) فأنه يقول : وأما آسية زوجة فرعون فقد كانت من بني اسرائيل وكانت تعبد الله سراً عن اخلاص وإيمان كامل وقد اخفت إيمانها حتىٰ قتل فرعون ماشطة زوجة حزقيل فرُفع الستار من أمام عيني آسية ورأت الملائكة يذهبون بروحها بكل اجلال واحترام إلى السماء فزاد ذلك من يقينها وفي تلك الأثناء دخل عليها فرعون وأخبرها بقتل زوجة حزقيل .

نفد صبر آسية وصرخت بوجهه : ويل لك يا فرعون إلىٰ متىٰ تجرؤ على الله تعالىٰ ؟! قال فرعون : وهل جننت انت أيضاً كما جنت ماشطة ؟ اجابت : انا لم أجن ، بل آمنت بالله ربي وربّك ورب العالمين .

أحضر فرعون أم آسية وقال لها بأن ابنتها اصيبت بالجنون ولأن فرعون كان يحب آسية لذا أراد لها مختلف الحيل ان تتراجع عن دين الحق وما ان علم بإيمانها بالله حتىٰ اسودت الدنيا في عينيه ولشدة غضبه ظل مبهوتا لفترة من الزمن يتلوىٰ ، وكلما حاول اجبارها على الاعتراف بربوبيته لم تخضع ، فأحضر أمها وقال لها : انصحي ابنتك واعيديها إلىٰ صوابها فحكت الأم لابنتها ما دار بينهما من الحديث .

قالت آسية أنا لن أترك دين الحق الموسوي أبداً فردت أمها ولكن فرعون أقسم أن يقتلك ما لم تتخلي عن عقيدتك هذهِ ، فقالت آسية : فليفعل ما يشاء ولن اترك إيماني مهما حصل .

دق فرعون جسم آسية باربعة اوتاد وعذّبها بالوان العذاب حتىٰ فاضت حها إلى بارئها ولذا سمي فرعون في القرآن الكريم بـ(ذي الاوتاد) .

[illegible] في بعض التواريخ فأن فرعون طلب قصابا وأمره بأن

يفصل جلدها عن جسدها أمام عينيه ويذبحها ففعل .

عند ذلك فـزع سكنة العالم العلوي ورق قلبهم لحالهـا فسألـوا الله لها النجاة فجاء النـداء من مصدر الجـلال : ان آسية أمتي وقـد اشتاقت إلىٰ لقـاء سيّدها فانظروها ماذا تقول وهي تحتضر ، حين صغـوا إليها سمعـوها تقـول : **﴿ ربِّ ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجِّني من فرعـون وعمله ونجني من القوم الظالمين ﴾**[٢] .

مرور موسىٰ بموضع تعذيب آسية

ورد في (العرائس) برواية الثعلبي ان آسية عندما كانت تحت وطأة عذاب فرعون اتفق ان مرّ موسىٰ من هناك فأشارت باصبعها إليه تريد القول انظر مـاذا اتحمل أنا في سبيل المعبود وكيف اذوق مرّ البلايا .

دعا موسىٰ الله فأرتفعت عنها الآلام ولم تكن تحس باي اذىً مما كان ينزله بها حزب فرعون وغدت تضحك حتىٰ عجب فـرعون لضحكهـا وقال ان هـذه المرأة قد جُنّت فبعد كل هذا العذاب تضحك حين موتها .

وقد أدىٰ استشهادها إلىٰ ان يغرق مليون وستمائة الف من جيش فرعـون بعد فترة وجيزة[٣] .

وسيجزيها الله كمـا جزاهـا وكما روي أنهـا ستكون في الجنـة زوجة من زوجات الرسول (ص) .

٢ ـ مريم بنت عمران أم عيسىٰ (ع)

ينتهي نسبُ مريم الشريف إلى سليمان بن داوود إلىٰ إبراهيم الخليل أمها حنة زوجة عمران بن ماثان وأخت حنة هي زوجة زكريا واسمها ايشـاع وهي ام يحيىٰ ، اذن فيحيىٰ هو ابن خالة مريم ، وأبو مريم هو عمران بن مـاثان الـذي ينتهي نسبه إلى إبراهيم الخليل وهو ليس عمران أبا موسىٰ حيث تفصل بينهمـا

---

(٢) سورة التحريم / الآية(١١) .

(٣) رياحين الشريعة الصفحات (٢٧٢ / ٢٧٥) مع تصرف طفيف في العبارة .

ثمانمائة سنة .

تعني كلمة مريم في اللغة القديمة (عابدة) ويقول السيوطي في الاتقان بمعنىٰ (خادمة) وهذا الاسم اختارته لها أمها عند ولادتها ﴿ **وأني سميتها مريم** ﴾[٤] ومعنىٰ هذا الاسم يدل علىٰ حسن نية أمها التي كانت تود أن يكون المولود ذكراً ليخدم في البيت المقدس وينشغل بعبادة الله ، ولأن المولود كان انثىٰ والنتيجة بعكس ما رغبت فالولد ليس كالبنت (﴿ **وليس الذكر كالانثىٰ** ﴾ فتقبلها الله بدل الولد ﴿ **فتقبلها ربها بقبول حسنٍ** ﴾[٥] ورفع عنها القيود والحيض لتتمكن من الاقامة في البيت المقدس دائماً وتنشغل بخدمته ، وحين اطمأنت أمها حنة وتأكدت من هذا الأمر اسمتها مريم أي خادمة بيت الله شكراً منها لنعمته .

نذر أم مريم للمولود

تدل الآية الشريفة ﴿ **ربّ اني نذرت ما في بطني محرراً فتقبل مني أنك انت السميع العليم** ﴾[٦] ، دلالة واضحة على انها لو رزقت طفلاً فانها ستحرره (تجعله خادماً لبيت الله) ، وسبب نذرها كما تقول كتب التفاسير المعتبرة ان حنة كانت عاقراً وقد يئست من الحمل ، وكانت ترجو من الله دائما ان يرزقها ولداً ، واتفق مرة ان رأت علىٰ الشجرة طائراً يطعم فرخه فرقّ قلبها وطلبت من مصدر القوة والقضاء ان يقضي حاجتها قائلة : أيها الرب القادر ايمكن ان تمنّ على هذه الضعيفة بولد لينشغل بعبادتك ، اجيب دعاؤها وحملت بمريم المقدسة .

مريم بلا زوج أم لعيسى

وتقبل الله تلك الفتاة بدل الولد ﴿ **وانبتها نباتاً حسناً** ﴾ وكانت مشغولة بالعبادة في بيت المقدس حتىٰ حملت بعيسىٰ وقصتها مطولة مختصرها أنها حينما اصبحت في الثالثة عشرة بشـرّتها الملائكة بعيسىٰ كما جاء في القرآن

---

(٤) سورة آل عمران/ الآية(٣٦) .
(٥) سورة آل عمران/ الآية(٣٧) .
(٦) سورة آل عمران/ الآية(٣٥) .

الكريم : ﴿ اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسىٰ بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ﴾[٧] .

حين علم ابن عمها (يوسف) بالخبر تألم كثيراً وجاء إلىٰ مريم وسألها : هل نبت نبات بدون بذرة لحد الآن ؟ أجابت مريم : ان كنت تقول ان الله خلق أول بذرة اذن فهي لم تنتج عن نبات أو زرع وان قلت أنهما خلقا في وقت واحد اذن فهما لم يخلقا من بعضهما ، ثم قال يوسف : هل هناك شجرة تنمو بدون الماء ؟

أجابت مريم : ان الله خلق الشجرة أولاً ثم جعل الماء واسطة للنمو والنضوج أوضح يوسف كلامه في المرة الثالثة قائلاً : هل خُلق حتىٰ الآن ولد بدون اب ؟ اجابت مريم : لم يكن لآدم ولا لحواء أب .

خرج يوسف حزينا من عندها وعاد إلى معبده وحين نام في الليل رأىٰ في المنام ان ملائكة الله توجهت نحوه وقالت : يا يوسف ، ان مريم حملت من روح القدس وابنها اسمه عيسىٰ وهو الذي سينقذ قومه من الخطيئة وهذا هو الابن الذي قال عنه الأنبياء أنه سيولد عن فتاة بكر وليس له اب .

استيقظ يوسف من نومه وتراجع عن افكاره .

شماتة بني اسرائيل والولادة

كان حزن مريم يزدادا يوماً بعد يوم ، وكانت تطلب من الله الموت لتتخلص من شماتة بني اسرائيل ، حتىٰ جاءها المخاض فخرجت من بيت المقدس وجلست عند جذع نخلة يابسة إلى جهة المشرق كما جاء في سورة مريم ﴿ فأجاءها المخاض إلىٰ جذع النخلة قالت ياليتني متُّ قبل هذا وكنت نسيا منسيّا ﴾ ، عند ذاك سمعت نداءاً يقول ﴿ لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريّا ، وهزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقرّي عينا فاما ترين من البشر احداً فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم

---

(٧) سورة آل عمران/ الآية(٤٥) .

إنسيا ﴾[٨] .

حين علم بنوا اسرائيل بالخبر لاموا مريم وقالوا : ﴿ **ما كان أبوك امرء سوء وما كانت أمك بغيًا** ﴾[٩] ، ﴿ **فاشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيًا ، قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا ، وجعلني مباركا إينما كنت واوصاني بالصلوة والزكاة ما دمت حيًا ، وبرًا بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيا والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيًا** ﴾[١٠] .

بعض فضائل مريم (ع)

١ ـ هي أول امرأة لقبت بالعذراء والبتول والتي ينطبق اسمها علىٰ المسمى حيث انشغلت بالعبادة وخدمة بيت المقدس ، وكانت شهرة الافاق في حسنها وجمالها ولشدة نورانية وجهها لم تكن تحتاج إلىٰ مصباح في محراب عبادتها .

٢ ـ ذكر الله اسمها في القرآن اكثر من عشرين مرة ومدحها واختارها للمخطابات الحقة وفضلها علىٰ غيرها .

٣ ـ هي احدىٰ زوجات الرسول (ص) في الجنة وقد بالغ النصارىٰ في الدنيا في حقها واعتبرتها الطائفتان النسطورية والملكائية واحدة من الاقانيم الثلاثة الله والمسيح ومريم بالاشتراك هم السبب لوجود الموجودات ، وقد نقل كلامهم وردّ عليه في القرآن الكريم : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد** ﴾[١١] ، وكانت في حياتها أيضاً محترمة مكرّمة .

كان بنو اسرائيل يعتبرونها ابنة إمامهم الذي هو صاحب الفرقان ومن رؤساء بني اسرائيل في قدس الخليل ومن ملوكهم في بني ماثان لذا كانوا يتخاصمون مع زكريا حول كفالة مريم ﴿ **وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم إيهم**

---

(٨) سورة مريم/ الآيات (٢٣/٢٦) .
(٩) سورة مريم/ الآية(٢٨) .
(١٠) سورة مريم/ الآيات(٢٩/٣٣) .
(١١) سورة المائدة/ الآية(٧٣) .

يكفل مريم ﴾[١٢] .

٤ ـ كانت مريم أول امرأة منحها الله العصمة ولم تكن هناك امرأة معصومة قبلها .

٥ ـ تكلمت وهي في رحم أمها ، وحسب روايات العامة والخاصة فانها ولدت في بيت المقدس .

٦ ـ لم يكن نموها كسائر الاطفال بل كان اكثر من الحدّ المتعارف .

ان المقصود هو نموها في طاعة الله والعفة والصلاح والسداد[١٣] .

٧ ـ كانت عابدة وزاهدة وخادمة لبيت الله وقد ادّت العبودية لله كما هو حقها .

٨ ـ نجاها الله المتعالي من لغو وكيد نساء اليهود .

٩ ـ جعلها الله من كاملات الإيمان كما قلنا سابقاً

١٠ ـ تكفلها نبيٌّ كزكريا .

١١ ـ صانها الله تعالىٰ من مس الشيطان وحفظها ، حسب مضمون الآية الشريفة ﴿ **وإني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم** ﴾[١٤] .

١٢ ـ كانت تأكل من فواكه الجنة واطعمتها كما يتضح من صريح الآية الشريفة ﴿ **كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم اني لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب** ﴾[١٥] .

١٣ ـ كانت الملائكة تكلمها مباشرة كما جاء في القرآن ﴿ اذ قالت

(١٢) سورة آل عمران/ الآية(٤٤) .
(١٣) تنبت في اليوم مثلما ينبت المولد في عام وقيل ان المراد نموها في الطاعة والعفة والصلاح والسداد .
(١٤) سورة آل عمران/ الآية(٣٦) .
(١٥) سورة آل عمران/ الآية(٣٧) .

الملائكة يا مريم . . ﴾ ، ﴿ يا مريم اقنتي لربك . . . و . . ﴾[16] .

١٤ ـ انها عبدت ربها كثيراً في المحراب حتىٰ تورمت قدماها ، وقد تقدمت على جميع العباد في العبادة والصوم والصلاة والزهد وترك الدنيا وهي في التاسعة من عمرها ، وكانت كثيرة الصبر علىٰ اذىٰ اليهود .

١٥ ـ كانت مستجابة الدعاء ولأنها كانت معصومة فقد غسلها عيسىٰ بعد الوفاة لأن المعصوم لا يمكن لغير المعصوم أن يغسِّله .

وباختصار فان لها مميزات كثيرة وخصائص يحق لها ان تفخر بها .

وفاة مريم في جبل لبنان

عاشت مريم في هذه الدنيا ثلاثاً وستين سنة وينقل العلامة البارع الشيخ عبد النبي التويسركاني في كتاب (لآلىء الأخبار ، الصفحة٤٨٨) عن وهب بن منبه أنه قال : وجدنا في بعض الكتب ان عيسىٰ بن مريم ذهب بصحبة أمه إلى جبل لبنان وكانا يقضيان الليل قائمين والنهار صائمين قانعين بما يحصلان عليه من ورق الاشجار وماء الأمطار وقد قضيا فترة طويلة على هذا المنوال .

في أحد الأيام هبط عيسىٰ من الجبل لجلب القوت وفي ذلك الوقت هبط ملك الموت علىٰ مريم وهي في محراب العبادة وقال : السلام عليك يا مريم يا قائمة الليل وصائمة النهار .

أُغمي على مريم من هيبة ملك الموت وحين أفاقت أعاد عليها السلام فاغمي عليها ثانية وعندما افاقت قالت : يا عبد الله من أنت الذي ترتعد لرؤيتك فرائصي ويقشعر جلدي ، ومن صوتك يكاد عقلي أن يغادر رأسي ؟ قال : أنا الذي لا أرحم كبيراً ولا صغيراً ولا استأذن عند الدخول على السلاطين والجبابرة وغيرهم ، انا مخرِّب الديار ومهدم القصور ومعمر القبور ومفرق الجماعات انا عزرائيل ملك الموت جئت لاقبض روحك ، قالت ألا تمهلني حتىٰ يأتي ابني وقرة عيني وحبيبي عيسىٰ لاراه للمرة الأخيرة ؟ فأجاب الأمر ليس

---

(١٦) سورة آل عمران/ الأيتان (٤٢/ ٤٣) .

بيدي ، أنا مأمور من قبل الله ولا استطيع ان أخطو خطوة واحدة دون اذن منه فاستعدي للقاء ربِّك قالت مريم أنا مستسلمة لأمر ربي ثم قبض ملك الموت روحها .

عيسىٰ على جثمان أمه

اتفق انه طال غياب عيسىٰ (ع) في ذلك اليوم حتىٰ حان وقت صلاة العشاء وحين صعد الجبل ومعه مقدار من النباتات لافطار أمّه وجدها نائمة فقال في نفسه : لأدعها تستريح ثم انشغل بالعبادة حتىٰ انقضىٰ من الليل ثلثه ولم تستيقظ فناداها ولكنه لم يسمع جواباً .

قال لنفسه لأدعها نائمة وظل هو بدون افطار حتىٰ اقترب الفجر فاستولىٰ عليه الخوف لأنه لم يكن من عادة أمه ان تنام لفترة طويلة كهذه فاقترب منها وشاهدها قد فارقت الحياة .

وضع وجهه على وجهها واطلق زفرة عميقة وبكىٰ حتىٰ بكت الملائكة معه (وبقية الرواية مفصلة حول تجهيز مريم وملخصها ان جبرئيل وميكائيل وحور الجنة قد ساعدوا عيسىٰ في تجهيزها)[١٧] .

موعظة على لسان مريم

ورد في كتاب (مصابيح القلوب) ان عيسىٰ رأىٰ روح أمه بعد دفنها فسألها عما تتمنىٰ فأجابت : اتمنىٰ أن اكون في الدنيا واعبد الله في ليلة شتاء باردة واصوم في يوم صيفي حار .

---

(١٧) رياحين الشريعة الجزء الثاني الصفحات (٢٧٢/٢٨٣) مختصرةً .

المحاضرة السادسة

٣ ـ خديجة أول امرأة مؤمنة

كان الحديث يجري حول الحديث الشريف (كمل من الرجـال كثير ولم يكمل من النساء سوىٰ اربع : آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد) وقد سبق أن تكلمنا عن آسية ومريم .

ثالثة هذه النساء هي خديجة وهي اعظم شأنـاً من الأثنتين السابقتين أم المؤمنين وزوجة الرسول الأكرم (ص) .

ويكفي هذه المجللة شرفاً أنها أول من آمن بالرسول وبذلت كل ثروتها في سبيل الله ورسوله .

ويمكن تقدير ثروتها اذا عرفنا ان بضائع تجارتها كانت تحمل علىٰ ثمانين ألف بعير وقد قدمت كل هذه الثروة العظيمة للنبي والمسلمين .

عاشت مع الرسول أربعاً وعشرين سنة وشهراً واحداً وقد ولـدت للرسول قاسم وعبد الله الملقبين بالطيب والطاهر وكذلك زينب ورقية وفاطمة (ع) .

بكاؤها عند فراق ابنها

فارق القاسم وعبد الله الحياة وهما ما يزالان طفلين ، فقد تـوفي القاسم وهو في الرابعة بينما توفي عبد الله وهو لا يتجاوز الشهر الواحد حسبما جاء في تاريخ اليعقوبي .

دخل رسول الله (ص) يوما على خديجة فرآها باكية سألها عن السبب فقالت : لقد اجتمع اللبن في ثديي فتذكرت ولدي يا رسول الله ليت ولدي عاش حتى موعد فطامه .

قال رسول الله : سيفطمونه في الجنة ، فسألته : يا رسول الله اين يذهب ابنائي منك ؟ فاجاب : مكانهم الجنة .

قالت خديجة : أفي الجنة وهم بدون عمل ؟ أجابها : ان الله يعلم انهم لو عاشوا لما عملوا من السيئات شيئا .

وجاء في كتاب (أصول الكافي) ان الإمام الباقر نقل أن رسول الله حين رأى خديجة تبكي بعد وفاة القاسم وسألها عما يبكيها أجابت : لقد كان لؤلؤة ثمينة فقدتها ، قال رسول الله : يا خديجة الا ترضين ان ترينه يوم القيامة واقفا بباب الجنة وحين يقع بصره عليك يأخذ بيدك ويدخلك ويسكنك اطهر المساكن ؟

سألت خديجة أهذا خاص بي أم هو لكل عبد مؤمن ؟ اجاب الرسول : لكل عبد مؤمن يصبر ويخلص النية لله ـ فالله احكم وأكرم من أن يسلب عبداً مؤمناً ثمرة فؤاده ومع ذلك يعذبه .

زينب ورقية وأم كلثوم

أما زينب فقد زوجتها أمها من ابي العاص ابن خالتها وتوفيت في المدينة المنورة في السنة الثامنة للهجرة وقد غسلتها ام ايمن وأم سلمة وصلى عليها الرسول ودفنت في البقيع .

كما نُقل في (قرب الاسناد) عن الإمام الصادق أنه قال : تم تزويج أم

كلثوم من عثمان بن عفان لكنها توفيت قبل الزفاف فتزوج من رقية ، وفي بعض الروايات أنه تزوج رقية أولاً ثم أم كلثوم ولذا اطلق العامة على عثمان لقب (ذي النورين) .

وكان سبب وفاة رقية هو الظلم الذي اذاقه إياها زوجها وتفصيل ذلك مذكور في كتاب (حياة القلوب) للمجلسي .

ويقول بعض العلماء ان تلك الفتيات الثلاثة كن بنات خديجة من زوجها السابق ولسن بنات الرسول ، كما يقول البعض انهن كن بنات اخت خديجة .

خديجة جارة لآسية ومريم في الجنة

ورد في كتاب (حياة القلوب) للمجلسي وغيره من الكتب تفصيل زواج رسول الله من خديجة وحسن معاشرتها إياه طيلة اربع وعشرين سنة والتضحيات التي قدمتها خلالها .

بعد وفاة ابي طالب بثلاثة ايام وفي بعض الروايات بخمسة وثلاثين يوماً وفي رواية أخرىٰ بعد عام توفيت خديجة ودفنها رسول الله بيده في حجون مكة ، وحين عاد إلىٰ البيت وكانت فاطمة في الخامسة من عمرها آنذاك أخذت تدور حول ابيها وتسأله : أين أمي ؟ والرسول لا يجيب .

هبط جبرئيل وقال : يقول تعالىٰ بلغ فاطمة مني السلام وقل لها ان أمك في قصر من اللؤلؤ في الجنة حيث لا تعب ولا عناء ومنزلها بين منزلي آسية ومريم .

حين ابلغ الرسول فاطمة بالخطاب قالت : (ان الله هو السلام ومنه السلام وإليه يعود السلام) ثم سكتت وهدأت ، وقد ظل النبي حزينا بعد وفاة خديجة لا يغادر البيت إلا قليلا ولذا سمي ذاك العام بـ(عام الحزن) .

تعدد زوجات النبي بعد خديجة

هنا يجب ان نردّ على افتراءات وتُهم النصارىٰ وكل اعداء الاسلام على الرسول الأكرم ، انهم يقولون ان النبي كان شهوانيا لأنه تزوج ثلاث عشرة امرأة

وحين وفاته كانت تسع منهن في بيته أيٌّ انعدام حياء وانعدام انصاف هذا أو أي تجرؤ علىٰ قدسية النبي الذي ولد مطهراً من قبل الله من كل رجس .

ان كل عاقل يعلم أن فوران الشهوة يكون في سن الشباب ولا تكون هكذا في سن الشيخوخة ، ورسول الله لم يتزوج قبل بلوغه الخامسة والعشـرين وهو سن فوران الشهوة وحين تزوج اختار امرأة تكبره بخمسة عشرة سنة وهي متزوجة قبل ذلك مرتين وهي التي اقترحت عليه الزواج منها ، ولأن الرسول كان يعرف درجة إيمانها وتقواها وكمالهـا المعنوي لـذا وافق علىٰ الزواج منهـا ولم يتزوج بغيرها ما دامت علىٰ قيد الحياة .

حين توفيت خديجة كان الرسول قد بلغ الخمسين حين اختار عائشة ولكن زواجه بها لم يتم إلا بعد ان هاجر إلىٰ المدينة ، اما زواجه من الأخريات فكل زواج حصل لمصلحة أو حكمة ما اشير إليها في مواصعها المناسبة[1] .

حاجة جبرئيل هي السلام علىٰ خديجة

نقل في حديث شريف عن الرسول أنه قال : في ليلة المعراج وبعـد أن اردت العودة من سدرة المنتهىٰ ودعت جبرئيل وقلت له هل لك حاجـة ؟ فقال حاجتي هي ان تبلغ خديجة مني السلام .

القصد هو بيان عظمة هذهِ المرأة المجللة حيث يقرؤها السلام جبـرئيل اكبر الملائكة الإلهية المقربة .

سن خديجة وتأريخ وفاتها

كان سن خديجة عند الوفاة خمسة وستين عاما وكان عمر الرسول حينذاك خمسين عاما ، ولـم يتزوج الرسول امرأة اخرىٰ مادامت خـديجة حيـة احترامـاً لها .

وكما ورد ذكره فأن وفاتها صادفت بعد وفاة ابي طالب بفترة قصيرة ، فأبو طالب توفي في ٢٦ رجب من السنة العاشرة للبعثة النبوية كما ذكر المؤرخون .

---

(١) تفسير الميزان الجزء الرابع سورة النساء/ الآية(٦ ، الصفحة ٢٠٨) .

حين حضرت خديجة الوفاة بكت فسألتهـا اسماء التي كـانت قربهـا عما يبكيها فاجابت : ان فاطمة صغيرة وهي بحاجة إلى امٍ عند زفافها وهنا عاهدتها اسماء ووعدتها بأن تؤدي دور الأم لفاطمة حين زفافها .

٤ ـ الصديقة الكبرىٰ فاطمة الزهراء (ع)

المرأة الرابعة من النساء كاملات الإيمـان هي الصديقـة الكبرىٰ فـاطمة الزهراء سلام الله عليها ، وشأن الزهراء اعظم من أن يتصوره الإنسان فكيف به أن يشرحه ، وكـل من يقول عنهـا شيئـاً فهـو يتحـدث بمقـدار فهمـه وادراكـه لشخصيتها .

بكاء وضحك الزهراء (ع) عند مرض الرسول (ص)

جاء في كتاب (كشف الغمة) في الجزء الثاني ـ الصفحة ٧٩ طبع تبريـز بسند احمد بن حنبل عن عائشة أنها قالت : طلب رسول الله الزهراء وهو يحتضر وهمس في اذنهـا شيئا فبكت ثم همس بشيء آخر ففرحت فـاطمة وضحكت فسألتها عن سبب ذلك البكاء وذلـك السرور فـاجابت : كـان بكائي بسبب ان والدي اخبرني بقرب وفاته ثم قال لي انني أول من يلحق به من أهل بيته ففرحت وضحكت .

يقول مؤلف (كشف الغمة) ان هذا الحديث ورد عن عدة مصادر ومضمونه يدل علىٰ علو شأن وافضلية هذه المعصومة على جميع البشر سوىٰ ابيها وزوجها إلىٰ ان يقول : ان طبيعة كل انسان جُبلت علىٰ حب الحياة والتألم من الموت بحيث يفرُّ منه وحين يسمع ذكر موته يستولي عليه الحزن .

وجميـع الناس متساوون في هذا الأمـر الفطري حتى الأنبيـاء مـع انهم يعرفون مقامهم عند الله ويعلمون ان السعادة الأبدية ستكـون من نصيبهم ومع هذا يحبون الحياة ويفرّون من الموت .

ويقـول بعد أن يـأتي بروايـات عن آدم ونـوح وإبـراهيم ومـوسى عليهم السلام : وأما فاطمة عليها السلام فبرغم كونها في ريعان الشباب ولم تكن قد ذاقت بعد لذات الحياة ومع ان لديها اطفال صغار (الحسن والحسين وزينب وأم

كلثوم) والتي كانت متعلقة بهم جداً وكذلك لها زوج لا مثيل له في الدنيا ومع كل هذا فحين يخبرها أبوها بنبأ موته وانها ستلحق به سريعاً تسر سروراً عظيما ويغدو هذا النبأ مهدئاً لها عند فقدانه .

ولا يؤثر فيها ابداً انتهاء الحياة الدنيوية وفراق الابناء والانفصال عن الزوج بل تغدو سعيدة فرحة بالموت ومستعدة للقائه ، وهذا حقاً امر عظيم يعجز اللسان عن وصفه وتقصّر العقول عن ادراكه .

لم يعرف قدر فاطمة إلا معصوم

خلاصة الكلام ان الإنسان يستطيع ان يعرف قدر غيره حسب ماله هو من الخصال ولا يستطيع درك ما هو اكثر من ذلك .

وبعبارة أخرىٰ فأن الإنسان يستطيع أن يعرف ويدرك من هو بمستواه اما من هو اعلىٰ منه درجة فلا يستطيع أمامه سوىٰ الاعتراف بالعجز عن ادراكه .

واستناداً إلىٰ هذا فأن حقيقة ومقام الزهراء لا يعرفه احد كما هو حقه غير رسول الله وائمة الهدىٰ ، وان ما يمكننا فهمه من هذا الحديث ان فاطمة (ع) بلغت حد العلم بالعيان بل بحق اليقين وكان قلبها خاليا من حب غير الله وكل حبها كان لله وشوقها إلىٰ لقائه حتىٰ ان تعلقها بزوجها واطفالها كان إلهيا أيضاً بشكل ما .

وبعبارة أخرىٰ فانها تخلت عن جسدها الفاني واتصلت بالله الباقي وكانت روحاً مجردة واللسان والقلم عاجزان حقاً عن شرح هذا المقام ولا يمكن الا لمن بلغ هذا المقام ان يدرك عظمته ووصفه للآخرين كوصف مقام السلطنة لطفل صغير .

ولاية فاطمة (ع) وتمني الموت

ويفهم من هذا الحديث أيضاً ان فاطمة (س) كانت ولية الله لأن الاشتياق إلىٰ الموت علاقة حب الله والموت هو الوسيلة الوحيدة لرفع الحجاب وبلوغ لقاء المحبوب ، كما جاء في سورة الجمعة : ﴿ **قل يا ايها الذين هادوا إن**

زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ﴾[٢] .

وكمـا يقول أمير المؤمنين : (والله ان ابن ابي طالب آنس بـالمـوت من الطفل بثدي أمه) ، وقال الإمام الحسين عند خروجه من مكة في الثامن من ذي الحجة : (خُطَّ الموت علىٰ ولد آدم مخط القلادة على جيـد الفتاة ومـا اولهني إلى اسلافي ، اشتياق يعقوب إلىٰ يوسف)[٣] .

روي عن الإمام الصادق أنه قال : ان كنت على حال لو سمعت معه ان اجلك سيأتي الآن رضيت وسررت فآشكر الله علىٰ توفيقه .

---

(٢) سورة الجمعة / الأية(٦) .

(٣) نفس المهموم .

المحاضرة السابعة

﴿ قل لا اسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربىٰ ﴾ .

الولاء لأهل البيت أهم الواجبات الإلهية

كلكم يعرف جيداً أن من اعظم واجباتنا هو مسألة الولاية ، وقد نقل عن الإمام الصادق قوله : (بُني الاسلام على خمس : الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية وما نودي أحد مثلما نودي بالولاية . .) .

وكذلك نقلت احاديث كثيرة عن العامة والخاصة في عظمة واجب الولاء حيث نقل في كتاب (غاية المرام) في الصفحة٦٢٢ خمسة أحاديث عن طريق العامة واربعة وعشرين حديثا عن طريق الخاصة .

واستناداً إلى هذا فأنه لا واجب أهم من الولاء لآل محمد ، بل ان أي عمل يصدر عن الإنسان يشترط في قبوله الولاء لآل محمد .

إبراهيم الخليل من شيعة علي (ع)

ان مقام أهل البيت اعلى من مقام كل الأنبياء المرسلين والملائكة المقربين فقد حباهم الله من عظمة الشأن ما جعل إبراهيم خليل الرحمن علىٰ جلالة قدره حين رأىٰ أنوار شيعة أهل البيت كالنجوم اللامعة تحيط بشمس

الولاية وقمرها يطلب من الله ان يجعله في زمرة شيعة علي ، كما جاء في سورة الصافات : ﴿ وإنّ من شيعته لابراهيم ﴾[1] .

ابراهيم يرىٰ انوار أهل البيت

كما روي في تفسير البرهان عن جابر عن الإمام الصادق أن إبراهيم حين أراه الله الملكوت شاهد نوراً ينبعث من جانب العرش فقال : يا رب ما هذا النور ؟ فجاء الجواب ان هذا نور محمد الذي اخترته من بين خلقي ، ثم شاهد نوراً آخر إلىٰ جانبه وحين سأل عنه قيل له أنه نور علي بن أبي طالب نصير ديني ، بعد ذلك رأىٰ إلىٰ جانب ذلكما النورين ثلاثة أنوار أخرىٰ وعند السؤال عنها أجيب بأن أحدها نور فاطمة التي منعتُ نار جهنم عن محبيها ، أمّا النوران الآخران فهما نورا ابنائها الحسن والحسين (ع) .

ثم قال إلهي إني ارىٰ تسعة انوارٍ اخرىٰ حول هذه الأنوار فقيل له هذه انوار الأئمة من نسل علي وفاطمة ، فقال إبراهيم : إلهي بحق الخمسة الطيبة عرفني اياهم ، قيل له : يا إبراهيم إن أولهم علي بن الحسين وابنه محمد وابنه جعفر وابنه موسىٰ وابنه علي وابنه محمد وابنه علي وابنه الحسن وابنه الحجة القائم .

علامات شيعة علي (ع)

قال إبراهيم : إلهي إني أرىٰ أنواراً لا تعد ولا تحصىٰ حول تلك الأنوار قيل له : أنهم شيعة هؤلاء العظام واتباع علي بن ابي طالب (ع) .

سأل إبراهيم : وبم يعرف شيعة علي ؟ فأجابه : بصلاة الواحد وخمسين (الصلاة اليومية ونوافلها) والجهر بـ بسم الله الرحمن الرحيم والقنوت قبل الركوع والتختم باليمين ، وهنا قال إبراهيم اللهم إجعلني من شيعة علي ﴿ **وان من شيعته لابراهيم** ﴾ .

---

(١) سورة الصافات/ الآية(٨٣) .

الولاية مائدة النعمة الإلهية

صحيح أن المقام المعطىٰ لأهل البيت والذي ذكر آنفا هو خاص بهم ولا يستطيع احد بلوغه ، ولكن الله المتعالي بسط بواسطتهم خوانا كبيراً يستطيع من سعىٰ ـ ببركتهم ـ بلوغ درجة من الكمال والشرف .

معنىٰ الولاية هو المحبة ومعنيٰ الولاية هو التبعية ، فجاذبية حبهم ترفع الإنسان من التراب الحضيض ونور اتباعهم يجعل العمل كبيراً وعظيما مهما كان ضئيلاً وحقيراً ومهما كان القلب مظلماً أناره نور المحبة هذا .

وقد اشارت إلىٰ هذه النعمة العظيمة آيات قرآنية كثيرة منها : ﴿ **ثم لَتُسألنّ يومئذٍ عن النعيم** ﴾ .

وقد نقل في كتاب (غاية المرام الصفحة ٢٥٨) ثلاثة أحاديث عن العامة وثلاثة عشر حديثا عن طريق الخاصة تقول ان المقصود بالنعيم في هذه الآية هو رسول الله (ص) وأمير المؤمنين والأئمة الطاهرين ونكتفي بنقل رواية واحدة في هذا المضمار :

روىٰ الصدوق في كتاب (عيون اخبار الرضا (ع)) عن إبراهيم بن العباس أنه قال : كنا يوماً في مجلس علي بن موسىٰ الرضا فقال (ع) : ليس في الدنيا نعمة حقيقية ﴿ **لان كل ما فيها فانٍ** ﴾ فتلا بعض الفقهاء الحاضرين آية ﴿ **ثم لتسألن يومئذ عن النعيم**﴾[٢] ، وقال هذه نعمة دنيوية وهي الماء البارد العذب الذي يُسأل عنه يوم القيامة .

رفع الإمام صوته معترضا عليه وقال : انتم الذين فسرتم النعيم هكذا فبعضكم قال هو الماء البارد وآخر قال هو الطعام الطاهر وغيركم قال هو النوم المريح وقد اخبرني أبي ان هذا الكلام قيل بحضور والده الإمام الصادق فغضب وقال : ان الله لا يسأل عباده عما تفضل به عليهم ولن يمن عليهم ، بما وهبهم وان منّ الناس على بعضهم أمر قبيح فكيف ينسب إلىٰ ربّ الناس أنه يمن على مخلوقاته .

---

(٢) سورة التكاثر/ الآية(٨) .

النعمة الحقيقية هي الولاية

لكن النعيم هو حبنا وموالاتنا أهل البيت الذين سيسأل الله عنهم يوم القيامة بعد التوحيد والنبوة لأن العبد اذا أدّىٰ هذا الواجب الإلهي (موالاة أهل البيت) بلغ النعمة الحقيقية التي لا زوال لها وهي الجنة .

وقد حدثنا أبي عن آبائه ان رسول الله (ص) قال : يا علي ان أول ما يسأل عنه العبد بعد الموت شهادة التوحيد والنبوة (ان لا إله إلا الله وانَّ محمداً رسوله وانك ولي الله) وأن من يقرُّ بولايتك ويعتقد بها فمكانه الجنة وفي الآية الشريفة : ﴿ **وقفوهم أنهم مسؤولون** ﴾[3] ، رويت ثمانية أحاديث عن العامة وستة عن طريق الخاصة ان موضوع السؤال هو الولاية ونكتفي بنقل واحدة فقط من تلك الروايات .

يقول أبو سعيد الخدري : سمعت رسول الله يقول : حين تقوم القيامة يأمر الله ملكين بالوقوف على الصراط ومنع ممن ليس معه صكٌ امير المؤمنين من الجواز فمن لم تكن معه كُبَّ علىٰ وجهه في النار وهذا هو قوله تعالىٰ ﴿ **وقفوهم إنهم مسؤولون** ﴾ .

قلت فديتك يا رسول الله وما هو صك امير المؤمنين علي بن ابي طالب وصيّ رسول الله فقال : ورقة مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله . أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وصي رسول الله .

وفي نفس الكتاب (غاية المرام) في البابين (٥٤و٥٥) ، نقل حديثاً عن طريق العامة وسبعة أحاديث عن الخاصة بنفس المضمون .

وفي الباب (٥٣) نقل أربعة أحاديث عن العامة وخمسة عن الخاصة تبين انه سيسأل في القيامة عن ولاية أهل البيت وهنا ننقل هذه الرواية :

روىٰ الموفق بن أحمد بسند يصل إلىٰ رسول الله (ص) أنه قال : (والذي نفسي بيدهِ لا يزول قدم عبدٍ يوم القيامة حتىٰ يسأله الله عن اربع : عن عمره فيما

---

(٣) سورة الصافات/ الآية(٢٤) .

افناه وعن جسده فيما أبلاه وماله مما اكتسبه وفيما أنفقه وعن حبِّنا أهل البيت) فقال عمر بن الخطاب : وما علامة حبِّكم بعدك يا رسول الله ؟

وضع النبي (ص) يده علىٰ رأس الإمام علي (ع) وقال : الحب من بعدي حب هذا .

ونقل في البابيْن السادس والأربعين والسابع والأربعين ستة عشر حديثا عن العامة وتسعة وعشرين حديثا عن الخاصة مفادها أن الوسيلة الوحيدة للنجاة وقبول الاعمال هي الولاء لأهل البيت عليهم السلام .

ولمعرفة الروايات الورادة حول الولاية يراجع الكتاب المذكور والجزء السابع من (بحار الأنوار) لتُدرك عظمة نعمة الولاية .

السؤال عن غير الولاية

ولا يخفىٰ أن الروايات الواردة حول الآية الشريفة ﴿ **وقفوهم إنهم مسؤولون** ﴾ تقول إن الإنسان يسأل عن الولاية لأهل البيت قبل غيرها ، لا أن يكون السؤال مقتصراً عليها .

وبعبارة أخرىٰ يُسأل الإنسان أولاً عن الولاية ثم يسأل عن بقية الواجبات والمحرمات .

السؤال عن الصوم والصلاة وغيرها

كما روي في (غاية المرام) عن ابن عباس أنه توجد على الصراط سبع قناطر ، طول كل قنطرة سبعة عشر ألف فرسخ وعلى كل قنطرة سبعون ألف ملك يقفون لسؤال العابرين .

في القنطرة الأولىٰ يُسأل عن ولاية أمير المؤمنين فمن ، تمتع بها مرّ كالبرق وحين يصل القنطرة الثانية يسأل عن الصلاة وفي الثالثة عن الزكاة وفي الرابعة عن الصوم وفي الخامسة عن الحج وفي السادسة عن الجهاد وفي السابعة عن العدل . . .

بركات ولاية أهل البيت لا تعد ولا تحصىٰ

اعلموا ان ميزان عظمة كل شخص هو بمقدار ولايته لهذه العائلة فقد قال : والله ان نور الإمام في قلب المؤمنين اسطع من الشمس في وسط السماء ، وأكبر السهام الشهابية التي تردع الشيطان هو نور الولاية .

وببركة هذه العائلة يبلغ الأمر بالشخص حداً لا يستطيع معه الشيطان ان يقربه فأذا اقترب منه صرع .

سلمان منّا أهل البيت

كلكم يعرف كم لسلمان من العجائب والكرامات فقد كان يعلم بالمنايا والبلايا ويعرف الاسم الأعظم وكان عالماً بما كان وما سيكون وكل هذا أكرم به نتيجة ولائه لمحمد وآل محمد وقد بلغ أمره درجة قال معها الرسول عنه (سلمان منا أهل البيت) .

ثلاث خصال لسلمان المحمدي

يقول منصور بن بزرج : قلت للإمام الصادقّ (ع) : يا سيدي ، انت تذكر سلمان الفارسي كثيراً .

قال الإمام : لا تقل سلمان الفارسي وقل سلمان المحمدي ، اتدري لماذا اذكره كثيراً ؟ قلت لا قال : لثلاث خصال فيه : (احدها ايثاره هوىٰ أمير المؤمنين على هوىٰ نفسه ، والثانية حبه للفقراء واختياره إياهم علىٰ أهل الثروة والعدد ، والثالثة حبه للعمل والعلماء ، إنّ سلمان كان عبداً صالحا حنيفا مسلماً وما كان من المشركين)[٤] .

ان لسلمان مقامه وقد بلغت نساء أيضاً ببركة هذه العائلة درجات من الكمال قلَّ من بلغها من الرجال وكنموذج نذكر خادمات الزهراء (س) فضة وأم أيمن .

---

(٤) سفينة البحار الجزء الأول ، الصفحة(٦٤٦) .

فضة خادمة الزهراء

لم تكن فضة سوىٰ وصيفة (أمةٍ) حبشية ، وقد ذكر الشيخ في (الاختصاص) أنها لم تكن عربية ولا فارسية بل كانت هندية وذكر البعض ان النجاشي ملك الحبشة اهداها إلىٰ الرسول الذي اهداها بدورهِ إلىٰ فاطمة .

كانت فضة تقوم بخدمة فاطمة وقد بلغت ببركتها مقاماً عالياً من المعرفة والولاية نذكر النموذج التالي كشاهد علىٰ ذلك ، وهو الحديث الذي نقله السيد هاشم البحراني :

في أحد الايام وحين اراد الإمام علي ان يتوضأ ناداها لتأتيه بالماء فلم تجبه فكرر النداء مرتين وثلاث فلم يسمع جواباً .

نهض الإمام ليأتي بالماء وحين غادر الحجرة سمع هاتفاً يقول : الماء علىٰ يمينك فأخذ علي (ع) الماء وتوضأ .

دخل النبي في تلك الاثناء والماء ما يزال يقطر من لحية علي فقال الرسول (ص) : يا علي هل تعلم من كان المنادي وما كان النداء ؟

أجاب علي (ع) : رسول الله يعلم أفضل ، فقال (ص) كان ذلك نداء أخي جبرئيل وهو يقول : ربّ العالمين يبلغك السلام ويقول لا تغضب من فضة فهي لم تجلب لك الماء لكونها حائضاً . انظروا كم منحها الله معرفة هذه العائلة بحيث تفهم أن مقام علي (ع) أعظم شأناً من المسجد فلا تدخله وهي حائض .

دعاء امير المؤمنين لفضة

وهنا دعا لها علي قائلاً : (اللهم بارك لنا في فضّتنا) أي أنه يعتبر فضة منهم وفضة خادمة أهل البيت شريكة معهم في آيات التمجيد والتقدير لأنها وبالتبعية لسيدها وسيدتها اعطت خبزها للمسكين واليتيم والأسير ولهذا كانت موضع لطف وعناية الله المتعالي ، وهذا كله من بركات الولاية .

وببركة دعاء أمير المؤمنين (ع) بارك الله في علم ومال واولاد فضة ونذكر هنا نموذجاً واحداً كشاهدٍ على ما نقول :

يقول العلامة المجلسي في الجزء العاشر نقلاً عن القشيري أن احدَ

الزهاد قال : كنت اتبع القافلة في السفر إلى مكة فشاهدت امرأة قد تخلفت عن القافلة فقلت لها : من أنت ؟ فأجابتني بهذه الآية : ﴿ **وقل سلام فسوف يعلمون** ﴾ ، وبذلك افهمتني أنه يتعين علي أن اسلّم أولاً وذلك واجب اسلامي يجب ان اؤديه ثم اطلب حاجتي من الطرف المقابل ﴿ **فسلّموا علىٰ انفسكم تحية من عند الله** ﴾(٥) .

ثم ردت علي السلام بصيغة قرآنية : ﴿ **سلام عليكم كتب ربكم علىٰ نفسه الرحمة** ﴾(٦) .

قلت ماذا تفعلين في هذا الصحراء وانت لوحدك ؟ قالت : ﴿ **من يهدي الله فلا مضل له** ﴾ ، فقلت أمن الجنّ أنت أم الانس ؟ اجابت : ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم** ﴾ قلت من اين قادمة انت ؟ فأجابت ﴿ **اولئك ينادون من مكان بعيد** ﴾(٧) .

سألتها : إلىٰ اين تريدين ؟ اجابت ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا** ﴾ .

سألتها كم لك في الطريق ؟ فأجابت ﴿ **وهو الذي خلق السماوات والارض في ستة أيام** ﴾(٩) ، فعلمت أنها في الطريق منذ ستة أيام .

قلت لها : هل تريدين طعاماً ؟ فأجابت : ﴿ **وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام** ﴾(١٠) ، فعلمت أنها تريد طعاماً فأعطيتها .

قلت : لماذا لا تتكلمين كبقية الناس ؟ قالت : ﴿ **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾(١١) ، قلت : من أي قبيلة أنت ؟ قال : ﴿ **ولا تقفُ ما ليس**

---

(٥) سورة النور/ الآية(٦١) .
(٦) سورة الانعام/ الآية(٥٤) .
(٧) سورة فصلت/ الآية(٤٤) .
(٨) سورة آل عمران/ الآية(٩٧) .
(٩) سورة هود/ الآية(٧) .
(١٠) سورة الأنبياء/ الآية(٨) .
(١١) سورة ق/ الآية(١٨) .

لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسؤولا ﴾ .

قلت لها : اسرعي لكي تبلغي القافلة فقالت : ﴿ لا يكلف الله نفساً الا وسعها ﴾[١٢] ، قلت : هل تريدين ركوب البعير؟ قالت : ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾[١٣] ، قلت : اركبي خلفي ، قالت : ﴿ لو كان فيها الهة إلا الله لفسدتا ﴾[١٤] ، وتقصد ان المرأة لا يمكنها الركوب مع رجل اجنبي .

ترجلت واركبتها فقالت : ﴿ الحمد لله الذي سخر لنا هذا ﴾[١٥] ، ثم اخذت استحث البعير لالحق بالقافلة فقالت : ﴿ واقصد في مشيك ﴾[١٦] ، فأخذت أسير ببطءٍ واقرأ الشعر بصوت خفيض فقالت ﴿ فاقرأوا ما تيسر من القرآن ﴾ فقلت : لقد اعطاك الله خيراً كثيراً حتىٰ اصبحت من أهل القرآن قالت ﴿ وما يتذكر الا اولو الألباب ﴾ قلت : انصحيني قالت : ﴿ كل من تغاضىٰ عن ذكري ضاقت به الحياة ﴾ .

حين اقتربت من القافلة قلت لها هل لك معارف؟ قالت : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾ ، فعلمت ان لها في القافلة مالاً وبنين وسألتها : ما اسم ابنائك؟ اجابت : ﴿ يا يحيىٰ خذ الكتاب بقوةٍ ﴾[١٧] ، ﴿ يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض ﴾[١٨] ، ﴿ فلما أتاها نودي يا موسىٰ إني أنا ربك ﴾[١٩] ، ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾[٢٠] ، ففهمت من ذلك ان لها أربعة اولاد وهذه اسماؤهم وهم في القافلة فذهبت وناديتهم فجاؤا فأخبرتهم بانني احسنت إليها وطلبت إليهم اكرامي وقلت : ﴿ يا

---

(١٢) سورة البقرة/ الاية(٢٨٦) .
(١٣) سورة البقرة/ الآية(١٩٧) .
(١٤) سورة الأنبياء/ الآية(٢٢) .
(١٥) سورة الزخرف/ الآية(١٣) .
(١٦) سورة لقمان/ الآية(١٩) .
(١٧) سورة مريم/ الآية(١٢) .
(١٨) سورة ص/ الآية(٢٦) .
(١٩) سورة طه/ الآية(١١) .
(٢٠) سورة آل عمران/ الآية(١٤٤) .

أبتِ استأجره ان خير من استأجرت القوي الأمين ﴾[21] ، ثم قالت : ﴿ إن الله يحب المحسنين ﴾[22] .

سألتهم عن علاقتهم بهذه المرأة فقالوا : نحن ابناؤها ، قلت ومن تكون هي لتجيبني قالوا : فضة خادمة الزهراء بنت الرسول (ص) وقد مضىٰ عليها عشرون عاماً وهي لا تتكلم إلا بآيات القرآن .

منحة إلهية ثمينة

أنه امر مهم تصوروا ان حفظ القرآن لا يكفي للاستشهاد بآية منه ، بل يجب معرفة المناسبَة التي نزلت فيها والآية المناسبة في موضع الاستشهاد .

ما الذي يمكن قوله سوىٰ أنها منحة إلهية ، أنها من البركات التي أكرمت بها فضة ببركة الزهراء (س) وفوق كل هذه البركات التي وصلت اعقابها من العلم والمعرفة .

بركات الولاية في اعقاب فضة

نقل المجلسي عن القشيري شيخ الاسلام أنه نقل عن عبد الله المبارك قوله : رأيت وانا في سفر الحج امرأة في الصحراء اعيىٰ التعب ناقتها وتخلفت عن القافلة ولا تستطيع السير علىٰ الاقدام .

حين اقتربت منها وجدتها قد رفعت رأسها وهي تقول : يا ربّ لقد كنت جالسة في بيتي فالقيت في قلبي شوق زيارة بيتك فأخرجتني من بيتي وجعلتني اتجه إلىٰ بيتك وفي الطريق جعلتني أتيه ، فلو وأن غيرك كان قد فعل بي هذا لشكوته إليك .

يقول عبد الله : وفجأة شاهدت رجلاً يركب ناقة يقترب من المرأة ويقول لها هل تستطيعين الركوب ؟ اجابته : نعم ثم ركبت وتحركت الناقة بسرعة البرق واختفت فجأة عن الانظار .

---

(٢١) سورة القصص/ الآية(٢٦) .
(٢٢) سورة آل عمران/ الآية(١٣٤) .

حين دخلت مكة وجدت تلك المرأة تمسك بستارة الكعبة ، فاقتربت منها واقسمت عليها ان تخبرني من تكون ، فقالت : أنا شهرة بنت مسكة بنت فضة خادمة الزهراء ، اما تلك الناقة التي رأيتها فهي من نياق الجنة ، لأنني اقسمت على الله بحرمة فاطمة فأرسل إليّ ملكاً أوصلني إلىٰ مكة .

ام ايمن الأمة الوفية

ورد عن أم ايمن المخدرة أنها كانت أمة آمنة أم الرسول وورثها (ص) بعد وفاة أمّه ، وقد حررها (ص) ثم تزوجت وانجبت أيمن وهذه المخدرة بارغم من تحريرها لم تترك بيت فاطمة وظلت تخدم الزهراء وكأنها ما تزال أمة ويكفي لبيان عظمة شأنها ان رسول الله (ص) قال : من أراد ان يتزوج من نساء الجنة فليتزوج أم ايمن .

وبعد زوجها الأول تزوجها زيد بن حارثة وأنجبت له اسامة بن زيد .

النجاة من الهلاك

وقد كانت في حبها وولائها للزهراء على درجة لم تتمكن معها من البقاء في المدينة بعد وفاة الزهراء فهامت علىٰ وجهها في الصحراء و . . . .

ذهبت إلىٰ مكة سيراً علىٰ الاقدام وفي الطريق اشتد بها العطش حتىٰ شارفت علىٰ الموت ، فرفعت رأسها إلى السماء وقالت : يا إلهي ألستُ خادمة بنت نبيك فهل أموت عطشاً ؟ وفجاة ظهر امامها قدح ماءٍ شربته فذهب عطشها وجوعها أيضاً ونقل العامة (أنها لم تجع ولم تعطش لسنوات بعد ذلك)[٢٣] .

اليس هذا من بركات الزهراء ، اذن يجب ان نفكر ونفهم ان كل مالدنيا من النعم هو منهم وحينها يزداد الحب طبقاً للفطرة ان شاء الله .

---

(٢٣) بحار الانوار الجزء العاشر نقلا عن (المناقب) .

المحاضرة الثامنة

﴿ قل لا أسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربىٰ ﴾

الولاء لأهل البيت عبارة عن شدة المحبة القلبية والتبعية لهم والتأسي بهم في القول والعمل ، وحقيقة الولاية هي التمسك بأهل البيت بشكل يعتبرهم معه الحاكمين علىٰ الوجود ، فقد عبر الله تعالىٰ عن موضوع الولاية بأكبر العناوين من قبيل (النعمة المطلقة)[1] ، و(كمال الدين)[2] ، و(العروة الوثقىٰ)[3] ، و(حبل الله)[4] ، وغيرها .

ان الولاية هي روح الدين وبدونها لا يكون سوىٰ جسد بلا روح .

التقوى لا تتحقق بدون الولاية

في آخر آية الكرسي ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ ﴾ ، ذكر أن شخصاً قال للإمام الصادق : ان هناك قضية تؤلمني وهي أن من بين محبيكم يا أهل

---

(١) ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها﴾ سورة النحل، الآية (٨٣)، ﴿ولتسألن يومئذٍ عن النعيم﴾سورة التكاثر الآية (٨).

(٢) ﴿ اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ﴾ سورة المائدة/ الآية(٣) .

(٣) ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ لا انفصام لها ﴾ ، سورة البقرة/ الآية(٢٥٦) .

(٤) ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ سورة آل عمران/ الآية(١٠٣) .

البيت من يذنب ويرتكب المعاصي ، ومن بين اعدائكم كثير من المتقين فأجاب بما مضمونه : لا خوف علىٰ محبينا ولا نفع لأعدائنا ، فأيّ دين لمن لا يؤيد اماماً عادلاً الم تقرأ الآية القرآنية ﴿ **الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلىٰ النور** ﴾[٥] ، أي نور التوبة والرحمة[٦] .

حب أهل البيت يجرُّ إلى التوبة

اذن فأن من اصبحوا من أهل الإيمان والولاية فأن الله وليهم وهو يوفقهم للتوبة أي أنهم يطهرون في النهاية ببركة نور الولاية .

لكن من لا ولاية لهم حتىٰ لو كان لهم عمل فلأنهم لا يملكون اللب والاساس والقاعدة الثابتة فأن عملهم لن ينفعهم وهو زائل شاؤوا أم أبوا .

الولاية حبل الله المتين

ان حبل الله المتين هو ولاية آل محمد (ص) كما جاء في تفسير الآية الشريفة : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** ﴾ ، حيث روىٰ المفسرون السنة والشيعة[٧] ، عن النبي (ص) أنه سُئل عن حبل الله ما معناه فأشار إلىٰ علي (ع) .

القلعة الإلهية الحصينة هي ولاية علي (ع)

وأفضل تعبير للولاية هو الحديث القدسي استناداً إلى رواية سلسلة الذهب التي رواها علي بن موسىٰ الرضا (ع) عن آبائه عن رسول الله (ص) عن جبرئيل عن اللوح عن القلم عن الله العالم أنه قال : (ولاية علي بن ابي طالب حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي[٨] ، فأن كان عمل الإنسان وقلبه

---

(٥) ﴿ **الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلي النور** ﴾ سورة البقرة/ الآية(٢٥٧) .

(٦) نقل في كتاب (غاية المرام) ثلاثة أحاديث عن العامة وخمسة عن الخاصة مضمونها ان المراد بالعروة الوثقىٰ في (آية الكرسي) هم الآئمة عليهم السلام .

(٧) نقل في كتاب غاية المرام الباب ٣٦ أربعة احاديث عن العامة وستة عن الخاصة بأن المراد بحبل الله هم أهل البيت عليهم السلام .

(٨) عيون اخبار الرضا .

وتصرفاته بشكل يرىٰ معه علياً مؤشراً علىٰ وجودهِ ومطالعه دخل ولاية علي وأمن المخاطر .

وانت تقرأ في صلاة الظهر في شهر شعبان : (اللهم صلّ على محمد وآل محمد الفلك الجارية في اللجج الغامرة . . . الكهف الحصين وغياث المضطر المستكين وملجأ الهاربين عصمة المعتصمين .

وفي القرآن الكريم يقول تعالىٰ بصراحة (وابتغوا إليه الوسيلة) وطبقاً للروايات الواردة في تفسير الآية الشريفة فأن الوسيلة هي آل محمد الذين هم الواسطة بين الله والناس .

هل الولاية مكتسبة ؟

والآن والحال ان الحبل المتين والوسيلة والعروة الوثقىٰ و . . . هي ولاية أهل البيت فكيف يمكن الحصول عليها ؟ وهل ان الولاية أمر مكتسب ام هي موهبة وبفرض كونها مكتسبة أو موهبة ، هل انها قابلة للزيادة ام لا ؟ وكيف يمكن زيادتها ؟ هذه مباحث طريفة ، معرفتها ضرورية .

جزء من الولاية موهبة

ان التعبير الذي استعمله المرحوم الشيخ (نوري) بعد البحث والمتابعة والتحقيق هو أن درجات حب أهل البيت أما ان تكون موهبة أو مكتسبه .

اما الموهبة فهي التي يفيضها الله على الإنسان ، وكل فطرة طاهرة لها بالضرورة مقدار من الولاية .

ونتيجة النطفة الحلال وتقوىٰ الوالدين وولايتهما ودعائهما يصبح الاولاد بحسب الموهبة موالين لآل البيت .

مقولة ابي ذر الغفاري

امسك أبو ذر الغفاري وهو من كبار الصحابة بستار الكعبة وتوجه إلىٰ

---

(٩) سورة المائدة/ الآية(٣٥) .

الناس وقال : ايها الناس : انقلوا حبّ علي إلىٰ اولادكم ، فقد سمعت رسول الله يقول : حب علي إيمان ومعاداته كفر .

تأثير الدعاء في زيادة الحب

ان من اسباب بلوغ المحبة الموهوبة هو الدعاء المصحوب بالجد والالحاح والتضرع إلى الله طلباً لمنحه محبة أهل البيت ، وبالطبع فأن الله وعد بالاستجابة[١٠] ، وبناءاً على وعدهِ فأنه سيهبه ويزيد من فضله عليه ولكن بشرط ان لا يرتكب الذنوب والمحرمات التي تؤدي إلىٰ نقصان محبة أهل البيت ، وان ارتكب تاب من بعدها وأصلح .

وهناك بعض الأمور التي ذكرت ولها اثر وضعي للولاية وهي من قبيل وضع الطفل في ماء الفرات الذي هو مهر الزهراء (س) .

التأمل في الصفات الكمالية

أما المحبة المكتسبة التي يصل فيها الإنسان إلىٰ درجات المحبة بواسطة العمل ، فيجب العلم بأن هناك اسباب لزيادتها نشير هنا إلىٰ بعضها :

احدها التدبر والتأمل في الصفات الكمالية لأهل البيت (ع) من العلم والقدرة والتقوىٰ والجود والكرم والزهد والعبادة والشجاعة والرأفة والحلم والعفو والتواضع وما شابهها ، وليس هناك شك في ان الإنسان وبحسب الفطرة هو عاشق للكمال ، فمن الذي يرىٰ اعلى درجات الصفات الكمالية في أهل البيت ولا يعشقهم .

وثانيها التأمل في النعم التي حصل عليها المؤمنون وسيحصلون عليها بواسطة أهل البيت والتي أهمها الإيمان والنجاة الابدية .

---

(١٠) ادعوني استجب لكم .

التبعية تزيد المحبة

وثـالثها الاتبـاع والطاعـة لأوامرهم والاقتـداء والتأسي بهم في الاعمـال والاقـوال ، وواضح أنـه كلما ازداد الاتبـاع ازدادت المحبة ، كمـا ان الرفض والمخـالفة تؤدي إلىٰ الكـراهية والأبتعـاد بل ستصـل بصاحبهـا إلى العـداوة ، وسنبحث في الأيام القادمة هذه الأمور الثلاثـة بشيء من التفصيل ان شـاء الله تعالىٰ .

المحاضرة التاسعة

﴿ قل لا اسألكم عليه أجراً الا المودة في القرآن ﴾

تأمين المستقبل بعد الموت

بعد بلوغ الإنسان مرحلة من النضوج العقلي فأنه يأخذ بالتفكير في عاقبته ـ شاء أم ابىٰ ـ ويدرك ان هناك نهاية محفوفة بالمخاطر تنتظره وعليه أن يسعىٰ في علاجها وبعبارة أخرىٰ ان يؤمّن مستقبله .

فقد اخطأ البعض وتصوروا المستقبل هو هذه الايام المعدودة لذا يقولون ان هناك ايام شيخوخة وايام عجز فيجب ان يفكر الإنسان في فترة تقاعده ، ولكنهم لا يقولون ان الإنسان سيموت وبعده قبر وعذاب وحساب وقيامة وصراط وميزان وجنة ونار ، في وقت يكون فيه المستقبل الدنيوي مجهولاً لأن لا أحد يعلم يقيناً بأن له مستقبل ، والموت وانقضاء العمر يتهدده في كل لحظة بينما المستقبل بعد الموت ، والحياة الابدية الخالدة بعد انقضاء الدنيا الفانية أمر مؤكد سواء اكان الإنسان مؤمنا ام لم يكن ، فكر في آخرته ام لم يفكر .

لامفرَّ من طيِّ الطريق

وباختصار فالمقصود هو ان التفكير بالعاقبة هو فطرة كل فردٍ من افراد البشر وكل ما هنالك ان البعض اختلط عليهم الأمر بين المستقبل الحقيقي

والمستقبل المبهم يقول امير المؤمنين (ع) : أيها النـاس ان امامكم عقبـة كؤدا ومنازل مخوفة لا بد من الورود عليها والوقوف بها[١] .

المال ليس حلّال المشكلات

الخـطأ الآخر الـذي يقع فيـه بعض قصار النـظر اضـافـة إلىٰ اعتبـارهم المستقبل منحصراً في الحياة الدنيـا فأنهم يعتبـرون تأمينـه أيضاً ممكنـا بجمع المال .

فكروا قليلا وستجدون ان كثيراً من المشكلات التي يتعرض لها الإنسان لا يمكن حلّها بالمال اضافة إلىٰ ان المال نفسه عرضة للسرقة والضياع والخسارة فلو انتشرت المجاعة ـ لا سمح الله ـ فماذا سينفع هذا المال ؟ .

كيف ينفع المال عند انتشار الامراض والاوبئة المعدية والمفاجئة ؟ وكيف يستطيع الوقوف بوجه السيول والزلازل ومواجهة البلايا وصدّها ، وفوق كل هذا هناك الموت فبم يمكن معالجته ؟

الخطر محدق والحل محدد

اذن فمن المؤكد أن هناك أخطاراً تنتظر ، ظاهرة وباطنة ، دنيوية وآخروية فهل جعل الله لها حلاً أم لا ؟ ان حـل المشكلة هو الحصن الحصين والحبـل المتين ولاية أهل بيت العصمة والطهارة ، الذين يجب التمسـك بهم عند كـل حدثٍ جَلل وعند الخطر ليصلح الله الأمر ببركتهم .

اجعلوا هؤلاء العظام واسطة بينكم وبين الله كلما ألمت بكم الحاجة فلو كان الأمر لصالحكم قضي وان لم يكن كذلك يسّر الله لكم مثله أو ما هو افضل منه .

---

(١) نهج البلاغة .

سكرات الموت وشدة الخطر

ان الأمور الدنيوية يسيرة ، ففي الساعات الأخيرة وحين تهجم الشياطين وتوقفك وساوسهم فإن الإنسان احوج ما يكون إلىٰ الإمام (ع) هو في ساعة الموت (حسب بعض الروايات) .

فمن جهة تنتبه إلى ان عليك مغادرة الدنيا ، ومن جهة أخرىٰ تجد نفسك على أبواب سفر لا تملك متاعه ، الا ان تسعفك الولاية وتكون ذا أمل بباب الرحمة هذا وهذه بداية الطريق فكيف وما بعد الموت اشدّ وأدهىٰ ، فينبغي علىٰ الإنسان ان يحب آل محمد اكثر من روحه وماله وولده ، وما دام الإنسان لم يبلغ هذا المقام ، فعليه ان يسعىٰ إلىٰ كسب المحبة والولاية ولما كنا قد تحدثنا في الليلة الماضية عن درجتين من درجات الولاية أي الفطرية والمكتسبة ، وقلنا ان من اسباب زيادة الإيمان التفكر في اوصاف واوضاع أهل البيت والآخر التفكر في الاستفادة من نعمة الولاية والثالث التأسي ستتحدث عن هذه الأمور الثلاثة بتفصيل اكثر .

يجب علىٰ الإنسان ان يتفكر في اوضاع اهل البيت (ع) ويعرف صفاتهم الكمالية ويضع تصرفاتهم وافعالهم نصب عينيه ، وهذا مما يزيد في محبتهم لأن الإنسان بفطرته محب للكمال ، وكل انسان مهما كان شأنه يحب الكمال وتسري هذه المحبة في جميع الاحوال إلى اذي الكمال ، فمثلاً انت تحب الكرم ، فاذا شرح شخص مالك كرم حاتم الطائي ـ وهو كريم ـ فسوف تحبه ، اذن فالضروري هو تذكر هذه الاوصاف وهذا الكمال ، واستناداً الىٰ هذا يجب التدبر كثيراً في احوال السادة ، فأن البعض عندما لا يخطون خطوة في عالم الحب انما يكون ذلك بسبب عدم معرفتهم واطلاعهم على كمالهم ـ أي السادة ـ .

أهمية مجالس ذكر أهل البيت

ورد في الروايات ان الله تعالىٰ يحب مجلساً يذكر فيه علي واولاده ، لأن مجلساً كهذا يملأ فيه عبق عطرهم الملأ الاعلىٰ وتسأل الملائكة : من أين

جاءت هذه الرائحة العطرة ؟ فيأتي الجواب : من الأرض ، من مجلس تذكر فيه فضائل آل محمد على كل حال أنه عند ذكر فضائلهم تظهر المحبة الشخصية وتزداد .

والأهمية الكبرىٰ للصلوات تكمن في هذا لأنك تكثر من ذكرهم فيزداد حبك اياهم .

لنعرف واسطة النعمة الإلهية

الأمر الثاني أي تذكر الاحسان والنعم التي حصل ويحصل عليها الناس بواسطة وبركة آل محمد (ص) ، لأن الإنسان عبد الاحسان ، فلو أن شخصاً قدّم لك وردة لظهرت لديك محبة لذلك الشخص .

وهنا يجب ان نفهم ان النعم التي وهبنا الله اياها لا تعد ولا تحصى : ﴿ **وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾[٢] ، وكلها ببركة أهل البيت وكل بلاء ونقمة يبعدان عنّا ببركة هذه العائلة أيضاً .

حديث الإمام الصادق مع ابي حنيفة

روي ان الإمام الصادق (ع) كان يتناول طعامه فشاركه ابو حنيفة وبعد أن غسل الإمام يديه عند الانتهاء قال : الحمد لله ربّ العالمين ، إلهي هذه النعمة منك ومن حبيبك محمد (ص) ، فقال ابو حنيفة : يا جعفر أأشركت بالله ؟ اجاب الإمام ويحك ان الله تعالى يقول في سورة التوبة الآية(٧٤) : ﴿ **وما نقموا إلا أن اغناهم الله ورسوله من فضله** ﴾ ، ويقول في الآية ٥٩ من نفس السورة : ﴿ **ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله** ﴾ أي ان اسم النبي يأتي بعد اسم الله في القرآن لأنه بواسطته وبشفاعته يجري الفيض الإلهي .

سكت أبو حنيفة ثم قال : والله لكأني لم اقرأ هاتين الآيتين[٣] .

---

(٢) سورة إبراهيم / الآية(٣٤) .

(٣) دار السلام للنوري الصفحة(١٠١) .

فقرات الزيارة الجامعة

تقرأ في الدعاء (ببركة الإمام يرزق المخلوقات وبكم يمسك السماء ان تقع علىٰ الارض الا بأذنه) .

ولدرك هذا الموضوع اكثر اقرؤا الزيارة الجامعة بتدبر اكثر لتعلموا ان كل ما هو موجود انما هو ببركة آل محمد (ص) : (يا آل محمد بكم ينزل الغيث وتكثر النعمة وببركتكم يبتعد البلاء) .

البركات التي تصيب الشيعة

ان احد فروع هذا الموضوع هو التدبر في البركات التي نالها وينالها الشيعة بواسطة التوسل بهذه العائلة ، وقد اتضح أنه منذ صدر الاسلام وحتىٰ يومنا هذا أن المعاجز تحققت لملايين الناس في كل عصر وزمان بواسطة التوسل بهؤلاء العظام فكم من الأمراض التي عجز عن شفائها الاطباء قضي عليها ، وكم من المشاكل المستعصية والأمور العسيرة التي يسرها الله بهذه الوسيلة ومع أن ما ثبّت وكتب من هذه المعجزات لا يساوي ١/١٠٠٠ ، مما وقع منها الان أن كتب التأريخ مليئة ومكتظة بهذه الحكايات ، وقد ذكرت في الليلة السابقة حكاية توسل ام أيمن بالزهراء (س) .

المحاضرة العاشرة

﴿ قل لا أسألكم عليه اجراً الا المودة في القربىٰ ﴾

بالحب يغدو الشيطان ملاكا

ان ولاية أهل البيت هي نور احتل مكانه في كل قلب وله آثار ونتائج ويؤدي إلىٰ زيادة الإيمان ، بل ان نور الولاية هو نور الإيمان بعينه .

وتظهر الملكات الفاضلة فيه لا ارادياً فلا يحتاج بعدها إلىٰ التمرين والاكتساب فانها ستغير حاله ، نعم ان الشيطان يتحول إلى ملاك بسبب المحبة ان عمل الحب هو تبديل الشخص أي أنه يعكس كمال وصفات المحبوب في مرآة قلب المحب حتىٰ يصبح المحب نسخة عن المحبوب وبالطبع فإن هذا التبديل يحصل بمقدار المحبة وشدتها .

من المحبة تسكن الاوجاع ومن المحبة تشفىٰ الآلام
من المحبة يغدو النحاس ذهباً ومن المحبة يغدو المرّ حلواً

ابحثوا عن الحكمة والتوكل في المحبة

نقل عن خاتم الانبياء (ص) أنه قال : من اراد الحكمة (أي معرفة سرّ الخلقة ، وحقيقة الاشياء كما هو حقها) فليحب أهل بيتي ، ومن أراد ان يعرف

نفسه ويعرف ربه ، وأراد معرفة طريق السعادة وأبصر الدنيا دار فناء وزوال والآخرة دار بقاء ودوام وجب ان يحب أهل بيتي (لأن من أحبهم دخلت على قلبه حزمة من نور تتصل بمركز الانوار الذين هم احبابه ويحصل علىٰ علومهم بمقدار اتصاله بهم) .

كما قال : من اراد التوكل على الله فليحب أهل بيتي ، ومن أراد أن ينجو من عذاب القبر فليحب أهل بيتي ، ومن اراد ان يدخل الجنة بغير حساب فليحب أهل بيتي[1] .

حب أهل البيت وعشرون خصلة

وأوضح من هذا الحديث نقل عن الرسول (ص) أيضاً أنه قال : (من رزقه الله حب الأئمة من آل البيت كان خير الدنيا والآخرة من نصيبه ولا يشكّن أحد إنه من أهل الجنة لأن في حب أهل بيتي عشرين خصلة ، عشرة في الدنيا وعشرة في الآخرة .

اما الخصال التي يكسبها في الدنيا فأولها الزهد في الدنيا ، فكما ان أهل بيت العصمة لم يكونوا راغبين في الدنيا فأن محبهم أيضاً لا يرغب في الدنيا ولا تخدعه الشهرة والجاه والمال .

كل قلب احب الله لم يحب الدنيا فأي طمع للسلطان في فريسة ميته

وثانيها : الحرص على العمل الصالح فكما ان أهل الدنيا حريصون على جمع المال فهذا الشخص حريص علىٰ اعمال الخير ، فكلما صلىٰ لم يكتف ، وكلما انفق رغب في المزيد من الانفاق .

ثالثها : الورع في الدين وهي من آثار محبة أهل البيت فلو اعطىٰ شخص الملايين من المال لما رضي ان يكذب أو يشهد زوراً ، قيل أن الزاهد في الدنيا

---

(١) بحار الانوار/ الجزء السابع/ الصفحة(٥٣٩) .

لا يملك حب الدنيا ولا يرغب في المال لكي لا يجعل نفسه أهلاً لنار جهنم في سبيله .

رابعها : النشاط إلىٰ قيام الليل بفرح وسرور وشعور باللذة وهذا من بركات نور الإيمان وحب أهل البيت ، فقد سمعتم انه في اليوم التاسع عشر من رمضان وبعد ضرب الإمام علي بالسيف أنه قال : اللهم اشهد ان الصبح لم يطلع يوماً وعلي نائم ، وأصحاب علي ومحبوه كذلك ومن لم يكن فمعنىٰ ذلك وجود نقص في المحبة وعليه اصلاح نفسه واكتساب المحبة .

خامسها : الرغبة في العبادة ، فمحب أهل البيت يشتاق إلىٰ العبادة ويميل إليها ولا يصيبه الكسل والملل .

سادسها : بغض الدنيا ، فمحب أهل البيت يعادي شهوات الدنيا كما كان سيده علي (ع) يبغضها وهذا الأمر لا يحتاج إلىٰ شرح فعدم رغبة الإمام في الدنيا وفراره من شهواتها ولذاتها الفانية واضح للجميع .

سابعها : السخاء ، فكل قلب طلع فيه نور الولاية اختفىٰ منه مرض البخل وظهر السخاء لأن أصل البذل والعطاء موجود في أهل البيت وكذلك محبوهم يخلون من البخل .

ثامنها : التوبة قبل الموت فمحبو أهل البيت لا يغادرون الدنيا دون توبة حيث يوفقهم الله لها قبل الموت فيموتون مطهّرين .

تاسعها : اليأس مما في أيدي الناس ، فمحبو أهل البيت لا يطمعون بما يملك غيرهم ويقطعون أملهم من الجميع وأملهم الوحيد هو الله وآل محمد (ص) .

وعاشرها : الحفظ لأمر الله عز وجل ونهيه ، فمحب آل محمد يراعي أوامر الله ونواهيه في كل الاحوال فيطيع ما أمر به وينتهي عما نهي عنه بحيث لا يترك حتىٰ جزءاً منه لأن أئمتنا عليهم السلام كانوا يلتزمون بشدة بالأمر والنهي الإلهي .

وهذه الخصال العشرة هي بالطبع خصال من اتصف بالحب الحقيقي لآل البيت وليس من ادعىٰ بلسانه فقط .

الآثار العظيمة في الآخرة لمحبي علي (ع)

١ ـ لا يثبت له ديوان : فلا تفتح رسالة اعماله ولا يحاسب علىٰ ذنوبه .

٢ ـ لا ينصب له الميزان : أي لا تغفر ذنوبه مقابل حسناته بل تمحىٰ ذنوبه ببركة أهل البيت .

٣ ـ وتكتب له براءة من النار .

٤ ـ ويعطي كتابه بيمينه .

٥ ـ ويبيض وجهه .

٦ ـ تشمله الرحمة الإلهية .

٧ ـ يوضع على رأسه تاج من تيجان الجنة .

٨ ـ يلبس حلة من حلل الجنة .

٩ ـ يشفع لمئة من أقاربه (ممن يمكن الشفاعة لهم لا ان يكونوا كفاراً نواصباً) .

١٠ ـ يدخل الجنة بغير حساب(٢) .

سليمان الاعمش

وهو من كبار رواة الأحاديث الذين ذكروا في علم الرجال بعظمة الشأن وجلال القدر واسمه سليمان بن مهران ويلقب بالاعمش ، ويوثّق العامة أيضاً الاعمش في كتبهم ويقولون : بالرغم من أنه من علماء الشيعة الكبار ولكنه موثق .

---

(٢) بحار الأنوار/ الجزء السابع/ الصفحة(٥٢٧) .

الجارية تستعيد بصرها

يقول : في سفر الحج واثناء الطريق رأيت جارية عمياء تقول : اللهم اني اسألك بحق محمد وآل محمد عليك لما رددت بصري ، فعجبت لكلامها واقتربت منها وقلت : يا جارية ، ليس لمحمد وآله حق على الله ، بل إن لله حقاً عليهم فصرخت : اسكت يا صغير فأن لم يكن لهم على الله حق فكيف اقسم بعمرهم في القرآن حيث يقول : ﴿ **لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون** ﴾[٣] .

يقول الاعمش : عند عودتي من مكة بعد انتهاء مراسم الحج رأيت تلك الجارية وقد استعادت بصرها وكانت حين تلتقي بالحجيج تقول : احبوا عليا فان حبه ينقذكم من نار جهنم فاقتربت منها وسلمت عليها وقلت لقد كنت عمياء فما الذي جرىٰ قالت : نعم ، لقد مسح محمد (ص) بيده الشريفة على عيني فأستعدت البصر وقال لي ابقي هنا وقولي للحجيج حين العودة ان حب علي نجاة من النار[٤] .

أمة عمياء تشفىٰ أيضاً

كما يقول الاعمش : كان في المدينة أمة سوداء عمياء تقوم بالسقاية وتقول للناس اشربوا الماء على حبّ علي بن ابي طالب ، ثم رأيتها في مكة وقد فتحت عينيها وهي تسقي الناس وتقول : اشربوا علىٰ حب من اعاد الله بصري بسببه .

يقول الاعمش سألتها عما جرىٰ فقالت : جاءني رجل وقال لي : يا جارية أأنت وصيفة ومحبة علي بن ابي طالب (ع) ؟ قلت نعم : قال : اللهم ان كانت صادقة فردّ عليها بصرها فوالله استعدت بصري في الحال فسألته من انت ؟ اجاب : أنا الخضر وأنا من شيعة علي (ع)[٥] .

---

(٣) سورة الحجر/ الآية(٧٢) .

(٤) سفينة البحار/ الجزء الاول/ الصفحة(٢٠٤) .

(٥) سفينة البحار/ الجزء الاول/ الصفحة(٣٩١) .

وقد نقل العلامة المجلسي في الجزء ١٩ من البحار في باب التوسل بآل محمد (ص) حكاية مشابهة لهذه .

نعم ان نور الولاية يضيء عين القلب فكيف بالعين الظاهرية .

نادر والاعمىٰ عند باب الصحن

ربما سمعتم في اخبار نادر شاه أنه عندما أراد دخول حرم الإمام علي شاهد عند باب الصحن رجلا اعمى فسأله منذ متىٰ وانت تجلس هنا ؟ فأجاب : منذ عشرين سنة قال نادر : منذ عشرين سنة ولم تسترجع بصرك بحق عليٍّ حتىٰ الآن ؟ سأذهب إلى الحرم واعود فأن وجدتك ما تزال أعمى قتلتك .

التجأ الاعمىٰ إلى الإمام علي توسل إليه وتمسك به فأستعاد بصره في نفس الوقت .

احتضار الاعمش ومحادثته مع ابي حنيفة

عند احتضار الاعمش نقل هذا الحديث المذكور في بحار الانوار الجزء التاسع الصفحة ٣٩٠ عن شريك بن عبد الله القاضي أنه قال : كنت حاضراً عند الاعمش اثناء مرض موته وقد جاء ابن شبرمة وابن ابي ليلىٰ وأبو حنيفة ليعوداه فقال : اشعر بالوهن وانا خائف من ذنوبي ثم اخذ يرتجف ويبكي .

فإلتفت إليه ابو حنيفة وقال : يا أبا محمد اخشَ الله وفكر في عملك لأنك في آخر يوم من أيام الدنيا واول يوم من أيام الآخرة ، وقد نقلت عن علي بن ابي طالب احاديث من الافضل لك الرجوع عنها .

قال الاعمش : وما الذي قلتُه ؟ اجاب : قلت ان علياً هو الذي يقسم بين الجنة والنار ، قال اجلسوني ، حين أجلسوه التفت إلى ابي حنيفة وقال : أيها اليهودي أتشكل عليّ هذا ، فوالله لقد سمعت موسىٰ بن طريف أنه سمع من عباءة بن ربعي أنه قال : لقد سمعت مولاي علي بن ابي طالب يقول : (أنا قسيم الجنة والنار) أي انا أقول هذا محبي فأتركوه وهذا عدوي فامسكوه .

وحدثني ابو المتوكل الناجي عن ابي سعيد الخدري أنه قال : قال رسول

الله (ص) حين تقوم القيامة نجلس أنا وعلي بأمر من الله على الصراط فيقول تعالىٰ لنا : أدخلا في الجنة من يؤمن بي ويحبكما و﴿ القيافي جهنم كل كفار عنيد ﴾[٦] .

قال ابو سعيد : ان رسول الله قال : لا يؤمن بالله ورسوله من لا يحبّ علياً ، ثم تلا هذه الآية ﴿ القيا في جهنم . . . . ﴾ .

فارتدىٰ أبو حنيفة قباءه وقال انهضوا لنغادر المكان قبل ان يجيبنا بكلام اقوىٰ من هذا .

يقول شريك : مات الاعمش في نفس اليوم أي ٢٥ ربيع الاول سنة ١٤٨هـ ويقول : ابن عيينه ان الاعمش كان اعلم أهل الكوفة بالقرآن والفرائض واشدهم حفظاً للحديث ، وقال وكيع بن الجراح : لم يَفُت الاعمش التكبير الأول لصلاة الجماعة يوماً لسبعين سنة ، ولم يأت بعده من هو اكثر منه عبادة .

والخلاصة فأن علماء العامة مدحوه كثيراً[٧] ، وقد رووا أن رسول الله (ص) قال : يا علي انت جالس جنب جسر النار والنار تحت تصرفك ، نعم ان من يزكيه علي فلا شأن للنار به والا فمكانه جهنم .

ويقول العلامة المجلسي عليه الرحمة بعد نقل الروايات المذكورة عن السنة والشيعة أنه لا شك في هذه الأحاديث أبداً .

عليٌّ حُبّه جنّة قسيم النار والجنة
وصيُّ المصطفىٰ حقاً امام الانس والجِنّه

---

(٦) سورة ق/ الآية(٢٤) .
(٧) بحار الانوار الجزء (٩) الصفحة(٣٩٠) .

المحاضرة الحادية عشرة

﴿ قل لا اسألكم عليه أجراً الا المودة في القربىٰ ﴾

ولاية أهل البيت ضرورة اسلامية

ان من المسلّم به عند جميع المسلمين عدا النواصب ان حب أهل البيت هو من واجبات بل من ضرورات الدين الاسلامي ، نعم يقول العامة ان حبهم لا يتنافىٰ وخلافة الخلفاء الثلاثة لأنهم هم أيضاً اقروا خلافتهم وقد اجيبوا في الموضع المناسب وهو خارج عن بحثنا هذا .

وللشافعي اشعار وعبارات حول أهل البيت ذكر بيتان منها سابقاً : وينسب إليه أنه قال : (لو كان حب آل محمد رفضاً فليشهد الثقلان إني رافضي) ، وكذلك :

لو أن المرتضىٰ أبدىٰ محله — لخرّ الناس طراً سجداً له
ويموتُ الشافعي وليس يدري — علي ربه أم ربه الله

والمقصود هنا أن حب أهل البيت وضرورته للدين هي موضع اتفاق جميع المسلمين .

هؤلاء الذين يحبهم الله

يقول الشيخ النوري : بين الله تعالىٰ في القرآن أنه يحب عدة اصناف من الناس فمنهم : (ان الله يحب التوابين/ المتطهرين/ المتقين/ المحسنين/ المتوكلين/ الصابرين/ المقسطين) ، وحين ننظر إلىٰ جمع المسلمين نجد ان كل فرد من آل محمد يتصف بكل هذه الصفات مجتمعة .

آل محمد (ص) علىٰ رأس محبوبي الله

هل قرأتم الصحيفة السجادية ؟ ماذا يفعل الإمامان علي بن ابي طالب والسجاد (ع) فمن الذي يبلغ المقام الذي بلغاه في التوبة (وهي الرجوع إلىٰ الله) او في مقام الصبر مثلا فمن الذي يصبر صبر الحسين حيث قيل (لقد عجبت من صبرك ملائكة السماء) ، وفي مقام الطهارة ، فأن الله يحب المتطهرين وأهل البيت مطهرون إلهياً لدرجة لا يشاركهم فيها احد ومن اكثر توكلا من أهل البيت فمعاملتهم اكبر شاهد على هذا .

أن الله يحب المتقين وهؤلاء هم مظهر التقوىٰ وخطب الإمام علي تشهد علىٰ ذلك وآخر خطبه في أواخر حياته كانت ﴿ **ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾[1] ، فـ﴿ **لمثل هذا فليعمل العاملون** ﴾[2] .

لا نعرف من هو اكثر احساناً من أهل البيت

الأمر الآخر ﴿ **ان الله يحب المحسنين** ﴾ ، فهل تعرفون من هو اشد احساناً من أهل البيت في الأولين والآخرين ؟ كم نفعوا بعلومهم واحسنوا إلىٰ الخلق باموالهم وقوتهم ، احسنوا إلىٰ الجاهل ببذل العلم ، وإلىٰ الفقير ببذل المال ، وإلىٰ الضعيف بالمساعدة والنصرة .

ومواضع هذه الاعمال كثيرة وانتم بحمد الله على اطلاع ببعضها ،

---

(١) سورة النحل/ الآية(١٢٨) .
(٢) سورة الصافات/ الآية(٦١) .

والقصد هنا أنه وبحكم الآيات فأن احب الناس إلى الله هم أهل بيت العصمة والطهارة ، ومن أحبه الله وجب حبه علىٰ الناس .

حب محبوب الله هو حب لله

ان من مستلزمات حب الله هو حب محبوبه وهنا لا يمكن الجمع بين حبّ الله والعداء لأهل البيت ، ومن المستحيل أن يحب النواصب الله ، ولو ان أحدكم احب شخصاً وكان لهذا الشخص عدو فهل يحب عدو محبوبه أم محبّه ؟

احبوا الله والرسول اكثر

وهناك دليل الآخر على وجوب محبة أهل البيت شرعاً وهو الآية الشريفة :

﴿ قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربصوا حتىٰ يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ .

حب النبي بدون آله غير ممكن

لا شك ان حب رسول الله هو عين حب الله وقد قال (ص) : (من احبني احب علياً ، وكذلك قال : كذب من قال أنه يحب الله ورسوله وهو معادٍ لعلي (ع))[٣] ، وكذلك قال : (انا وعلي من شجرة واحدة وسائر الناس من شجر شتىٰ) ، وقال المعصوم : أولنا محمد واوسطنا محمد وآخرنا محمد كلنا محمد (ص) .

وبما أنه لا انفصام بين محمد ص) وأهل بيته فلا يمكن أيضاً الفصل بين حبّه وحبّهم وعلىٰ هذا فكاذب من يدعي حبّ محمد وهو معادٍ لعليٍّ وآله .

---

(٣) غاية المرام .

الولاية جائزة الرسالة

الدليل الآخر على وجوب حب أهل البيت ومودتهم هو نص القرآن الكريم الذي سيكون موضوع بحثنا لهذه الليلة وهو الآية الشريفة : ﴿ **قل لا اسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا** ﴾(٤) .

وقد روىٰ الفريقان أن سبب نزول هذه الآية هو (لما قدم رسول الله (ص) المدينة كانت تنوبه نوائب وحقوق وليس في يده لذلك سعة فقال الانصار : إن هذا الرجل قد هداكم الله تعالىٰ به وهو ابن اختكم وتنوبه نوائب وحقوق وليس في يده لذلك سعة ، فاجمعوا له من اموالكم ما لا يضركم ، فأتوه به ليعينه علىٰ ما ينوبه ففعلوا ، ثم أتوا به فقالوا يا رسول الله إنك ابن اختنا وقد هدانا الله تعالىٰ على يديك ، وتنوبك نوائب وحقوق ، وليس لك عندنا سعة فرأينا ان نجمع لك من أموالنا فنأتيك به فتستعين علىٰ ما ينوبك وهو هذا فنزلت هذه الآية .

وقال قتادة : إجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض : أترون محمد (صلى الله عليه وآله) يسأل على ما يتعاطاه أجراً ، فأنزل الله تعالى هذه الآية)(٥) .

واجب مهم وغير مادي

كذلك روىٰ الفريقان ان رسول الله قال وهو علىٰ المنبر : أيها الناس ان الله اوجب عليكم أمراً فهل تعملون به ان اخبرتكم ؟ فلم يجبه احد سكت الرسول (ص) وفي اليوم الثاني كرر ذلك حتىٰ المرة الثالثة حين قال : لا يرادُ منكم ذهب ولا فضة عندها قالوا : نحن مستعدون ، فتلا عليهم رسول الله (ص) هذه الآية .

---

(٤) سورة الشورىٰ/ الاية(٢٣) .

(٥) نقلنا النص اعلاه عن (اسباب النزول) للواحدي (ص٢٥١) ، طبع بالاوفست بقم عام١٤٠٤ هـ .

المودة الواجبة ووصية العلامة

أنتم تقرأون في الزيارة الجامعة (ولكم المودة الواجبة) ، وقد أوصى العلامة الحلي ولده فخر المحققين بقوله : (وعليك بصلة الذرية العلوية ومودتهم فأن الله قد أكد فيهم الوصية وجعل مودتهم أجر الرسالة)[٦] .

إنما أجره لك

ان الأمر الذي ينبغي على الجميع ان يعرفوه وسبق بحثه فيما مضى هو أن هذا الواجب المهم شأنه شأن بقية الواجبات الإلهية تصيبكم فائدته مباشرة لأن الله غني وكذلك أهل البيت وليسوا بحاجة إلى محبة الناس ومودتهم .

وببركة هذه المودة فأن الخصال الدنيوية والآخروية التي ذُكرت في الليلة السابقة ستظهر فيكم ، وفي الحقيقة فأن سعادة الدنيا والآخرة ستكون من نصيبكم كما ورد صريحاً في الآية الشريفة : ﴿ **قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن اجري الا على الله** ﴾[٧] .

وكذلك تشفى امراضك الباطنية

أي ان هذه المودة والمحبة تنفعك ولخيرك أنت فباطنك يُصلح وتغدو من أهل الجنة ومن ذوي الدرجات والمقام أيضاً :

يقول المعتزلي ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة : ان من العجائب التي لوحظت هي كون كل اتباع علي من ذوي الاخلاق الحسنة وكل من اتبع اعداءه فظا غليظا خشناً كسيّده نعم ان نور الولاية في أيٍّ قلب اشرق غيرّ خلق صاحبه نحو الاحسن .

---

(٦) ونقل كذلك روايتين ستجدونهما في المجلس الرابع عشر من هذا الكتاب .
(٧) سورة سبأ/ الآية(٤٦) .

مكمل العبادة هو خير نفع

ان الرواية تنص علىٰ أن نور الولاية يسد النقص الموجود في العبادات من صوم وصلاة وغيرهما ، كما نقرأ في الـزيارة الجـامعة (وببـركة مـوالاتكم تقبل العبادات والواجبـات ممن يودكم) وان رغبتم في مـزيد من التفصيـل فراجعـوا الجزء السابع من بحار الانوار لتجدوا الروايات الواردة في هذا الموضوع .

وقد ذكرت في الليلة السابقة حكـاية الاعمش واثنين من العجـائب التي شاهدها ، والليلة سنُنار مجلسنا بذكر قضية أخرىٰ عنه :

منكر زيارة الحسين ، يصبح زائراً

جاء في الجزء العاشر من البحار أن مؤلف (المزار الكبير) ذكر بأسانيد عن الاعمش أنه قال : كان لي منزل في الكوفة وبجـواره منزل جـار لي كنت كثير التردد عليه ، وصادف ان كنت عنده في ليلة جمعة فسألته : ما تقول في زيارة الحسين (ع) ؟ أجاب : أنها بدعة وكل بدعة ضلال وكل ضلال في جهنم .

نهضت من عنده غاضباً وقلت لنفسي سأعود عند السَحر لأحكي له فضائل أميرالمؤمنين (ع) واغيضه ، ذهبت وطرقت الباب فجاءني الجواب من الداخل أنه ذهب للزيارة .

خرجت في أثره بسرعة حتىٰ وصلت الحائر فوجدت شيخاً ساجداً وهو لا يمّل الركوع والسجود فقلت له : لقد كنت بالأمس تعتبر الزيارة بـدعة والبـدعة ضلالاً والضلال في النار واليوم جئت للزيارة ؟ فقال : لا تلمني يا سليمان فأنا لم اكن اؤمن بإمامة هذه العائلة حتىٰ رأيت الليلة في المنام حلما مرعباً ، قلت : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت رجلاً متوسطاً ذا حُسنٍ وجمال لا استطيع وصفه وحوله فريق من الناس يتقدمون بصحبته وأمامه فارسٌ على رأسه تاج مربع وعلى كـل زاوية جوهرة يبلغ شعاعها مسير ثلاثة أيام فسألت من هذا فقالوا : محمد بن عبد الله (ص) : قلت والآخر قالوا : خليفته علي بن ابي طالب (ع) ، ثم رأيت ناقة من نور وعليها محمد فقلت لمن هذا النـاقة ؟ فقـالوا : لخـديجة بنت خـويلد وفاطمة بنت محمد ، قلت ومن هذا الشاب ؟ قالوا : الحسن بن علي (عليهما

السلام) قلت إلىٰ اين يذهبون ؟ قالوا : لزيارة الحسين بن علي (عليهما السلام) الذي استشهد مظلوماً في كربلاء .

ثم اتجهت إلىٰ المحمل فرأيت رقاعاً تسقط من السماء كتب عليها (أمان من الله جل ذكره لزوار الحسين ليلة الجمعة) ، ثم هتف هاتف من السماء : نحن وشيعتنا في درجات عالية في الجنة .

يا سليمان والله لن ابرح هذا المكان حتىٰ تغادر روحي بدني[٨] .

---

(٨) ترجمة نفس المهموم الصفحتان (ص٣١٧ ـ ٣١٨) .

المحاضرة الثانية عشرة

﴿ قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربىٰ ﴾

الولاية في آيات القرآن

يقول الثعلبي وهو من كبار مفسري العامة في تفسير سورة الحمد : ان المقصود بـ(اهدنا الصراط المستقيم) هو صراط علي بن ابي طالب والذرية الطاهرة ، وينقل في كتاب (كفاية الموحدين) عن ابي بكر الشيرازي ان كل آية ورد فيها ذكر الصراط كان المقصود به ولاية آل محمد خصوصا الآية الشريفة : **﴿ وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ﴾** .

ويقصد ولاية آل محمد ، وكذلك الآية الشريفة : **﴿ وقفوهم إنهم مسؤولون ﴾** ، أي مسؤولون عن ولاية علي بن ابي طالب .

الصراط المستقيم هو علي وآله

نقل في كتاب غاية المرام ثلاثة أحاديث عن طريق العامة وأربعة وعشرون حديثا عن الخاصة يقول أن الصراط المستقيم هو رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) والائمة الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين ونكتفي هنا بنقل رواية واحدة .

يقول المفضّل : سألت الإمام الصادق عن معنىٰ الصراط فقال : هو الطريق إلىٰ معرفة الله وهما صراطان : صراط في الدنيا وصراط في الآخرة فأما الصراط في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة ممن عرفه في الدنيا واقتدىٰ بهداه مرّ علىٰ الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة ، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه علىٰ الصراط في الآخرة فتردىٰ في نار جهنم .

كما نقل في كتاب كفاية الموحدين صفحتين من الروايات الواردة عن العامة خلاصتها ان الحروف المقطعة في القرآن الكريم لو جمعت لتكونت جملة (صراط عليٍّ حق نمسكه) .

الصراط هو الولاية والسنّة

لو مشىٰ شخص علىٰ هذا الصراط أي أنه أدىٰ جميع الواجبات والمستحبات اضافة إلى الولاية وترك جميع المحرمات والمكروهات قدر المستطاع فأنه لن يزلّ قدمه عن الصراط يوم القيامة وسيذهب مباشرة إلىٰ الجنة وباختصار فأن صراط الدنيا لا يختلف عن صراط القيامة ، فالصراط هنا هو متابعة آل محمد فان عمل فأنه سيمرّ علىٰ الصراط في القيامة أيضاً ، وإن زل عن صراط أهل البيت ـ لا سمح الله ـ في الدنيا فكونوا واثقين بأنه سيزلّ عن صراط القيامة بنفس المقدار الا اذا شمله لطف الله وشفاعة السادة .

دعاء لزيادة ودوام الولاية

الموضوع المتبقي والذي أردت التذكير به هو أن علىٰ الإنسان ان لا يترك الدعاء والسعي ، والآن وقد عرف أن الولاية هي السبيل إلىٰ النجاة فعليه ان يطلب من الله أن يزيدها وأن يجعلها دائمة طيلة حياته ليأخذها معه إلىٰ القبر ، لأنه يتحول في هذه الدنيا ويتغير من حال إلىٰ حال ولا يضمن أبداً بأنه سيبقىٰ علىٰ هذه الحال حتىٰ الموت فيجب ان يستجير بالله ويطلب منه ان يحفظ ويحمي ولايته من شر الانس والجن .

نظرة إلىٰ ماضي قاتل علي (ع)

ان عبد الرحمن بن ملجم المرادي الذي تعرفونه ، سيء الحظ والعاقبة الذي بلغ في موضوع ولاية أمير المؤمنين (ع) حداً يذكر فيه مؤلف البحار الجزء التاسع أنه عندما جاء من اليمن وتشرف بمقابلة أمير المؤمنين نظم في مدحه قصيدة وظل هناك أي أنه لم يكن ليطيق فراقه حتىٰ مرض فكان أمير المؤمنين يعتني به ويمرّضه بنفسه .

وفي معركة النهروان وحين كان النصر حليف علي (ع) كان هذا التعس حامل لواء احدىٰ كتائب جيشه ، وقد استأذن الإمام في أن يسبقه إلىٰ الكوفة ويبلغ اهلها بانتصار جيش الإمام (ع) فقال له الإمام : انت حرّ وحينما قال له الإمام أنت قاتلي قال : يا أمير المؤمنين اقتلني قبل أن ارتكب كبيرة ، حتىٰ جالس اثنين من الخوارج وعشق قطام ، تلك المرأة السيئة فبلغ به الأمر ان يقتل علياً ـ الذي كان يحبه ذلك الحب ـ في محراب العبادة .

أليس ذلك كافيا لأن يخيفنا ؟!

ان هذا الأمر كاف حقاً لأن يخيفنا لأننا لا يمكن أن نطمئن علىٰ عاقبتنا ونترك طلب المغفرة من الله ، بل يجب ان نرجو الله أن يحفظ حب علي (ع) في قلوبنا ويزيده .

ارجو الله ان يثبت قدمي في بيتكم يا آل محمد (ص) وان يظل ذكركم في بالي حتىٰ النفس الآخير ، وان أسعَد برؤية جمالكم وأُسرُّ بشفاعتكم ، جعلني الله من اتباعكم .

فقرات من زيارة عاشوراء والزيارة الجامعة

نقرأ في الزيارة الجامعة : (فثبتني الله ابداً ما حييت على موالاتكم ومحبتكم ودينكم ووفقني لطاعتكم ورزقني شفاعتكم وجعلني ممن يقتص اثاركم ويسلك سبيلكم) .

ونقرأ في زيارة عاشوراء : (فأسأل الله الذي اكرمني بمعرفتكم ومعرفة

اوليائكم ان يجعلني معكم في الدنيا والآخرة وأن يثبت لي عندكم قدم صدق في الدنيا والآخرة) .

وبطبيعة الحال يجب مراعاة شروط واصول الدعاء وهو موضوع منفصل[1] .

---

(١) بحث موضوع الدعاء وشروط قبوله بالتفصيل ضمن شرح الخطبة الشعبانية التي طبعت تحت عنوان (شهر الله) وهو من آثار آية الله دستغيب .

المحاضرة الثالثة عشرة

﴿ قل لا اسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربىٰ ﴾

عظمة السادة ببركة الزهراء (ع)

بما ان عظمة الشأن التي منّ الله بها على الزهراء لم يهبها لأحد سواها من الأولين والآخرين ، فأن هذه العظمة سرت إلى اعقابها واكسبتهم شرفاً حتىٰ قيام القيامة .

ولهـا جـلال ليس فـوق جـلالهـا ... الاجـلال الله جـلّ جـلالـه
ولـهـا نـوال لـيس فـوق نـوالـهـا ... الانـوال الله عـمّ نـوالـه

ذرية النبي من نسل الزهراء

وهنا نشير إلىٰ عدة مسائل مهمة ، أحدها ان اولاد فاطمة (ع) هم جميعا ذرية الرسول واولاده حتىٰ تقوم القيامة ، وكلهم أشراف وعظام وواجبـو الاكرام وفي القيامة يدعون باسم ذرية الرسول .

وهذه المسألة من مسلمات المذهب الشيعي ، اضافـة إلىٰ ان الكثير من علماء العامة صرحوا بهذا ، ونكتفي هنا بنقل ما قاله ابن حجر والطبراني .

قال ابن حجر في كتاب (المخ) : ان تسمية اولاد فاطمـة (ع) وذريتها بـ

ابناء النبي ونسبهم إليه هي نسبة حقيقية ونافعة في الدنيا والآخرة والدليل على ذلك الحديث الصحيح المنقول بالتواتر عن رسول الله (ص) أنه قال : لماذا يقول البعض ان رحم رسول الله لا ينفع قومه يوم القيامة فوالله ان رحمي متصل في الدنيا والآخرة .

وروىٰ الطبراني ان رسول الله (ص) قال : (لقد جعل الله ذرية كل نبيّ في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن ابي طالب ، نقل عن عمر بسند صحيح أنه قال : سمعت رسول الله يقول : كل الاسباب والانساب منقطعة يوم القيامة إلا سببي ونسبي[١] .

وفي رواية اخرىٰ اضيف النسب والصهر ، وكذلك قال : كل قوم عصبتهم لأبيهم إلا اولاد فاطمة فأني عصبتهم وانا أبوهم[٢] .

رواية مشهورة عن النبي الاكرم (ص)

وهذا الخبر وارد مع بعض الاختلاف في الالفاظ في الكثير من كتب العامة مثل : (اسعاف الراغبين) للمصري و(اسد الغابة) لأبن الأثير و(ينابيع المودة) للقندوزي و(نور الابصار) للشبلنجي وغيرها بطرق مختلفة .

وفي كتاب (التذكرة) للعلامة الحلي جاء الخبر كما يلي :

قال رسول الله (ص) : كل قوم فعصبتهم لأبيهم الاّ اولاد فاطمة فإني عصبتهم وانا ابوهم .

وجاء في رواية أخرىٰ أنه قال : فأنا وليّهم وانا عصبتهم وهم عصبتي ، خلقوا من طينتي ، ويل للمكذبين بفضلهم ، من أحبهم احبّه الله .

---

(١) نقل هذا الحديث عن كتاب (فضائل السادات) عن مسند احمد بن حنبل وعن الحاكم والبيهقي والبغوي والقشيري والطبراني وجمع آخر من علماء العامة ويقول ان آية (فلا انساب بينهم) خصصت لهذا الحديث ، أي أنه لا ينفع نسب في القيامة الانسب رسول الله فهو المؤدي إلى نجاتكم في الدنيا والآخرة .

(٢) شفاء الصدور (الصفحة٦٩) .

اعتراض هارون وجواب الإمام الكاظم (ع)

ورد في كتاب الاحتجاج للطبرسي (ص٣٩١) ان هارون الرشيد قال للإمام موسىٰ الكاظم (ع) : جوّزتم للعامة والخاصة ان ينسبوكم إلىٰ رسول الله (ص) ويقولوا لكم : يا بني رسول الله ، وانتم بنو عليّ ، وانما يُنسب المرء إلىٰ ابيه ، وفاطمة إنما هي وعاء ، والنبي جدكم من قِبَلِ أمّكم ؟

قال الإمام : لو أن النبي نُشِير ، فخطب إليك كريمتك ، هل كنت تجيبه ؟ قال : سبحان الله! ولم لا أجيبه ، بل افتخر علىٰ العرب والعجم وقريش بذلك .

فقال الإمام : لكنه لا يخطب اليَّ ولا ازوجه .

فقال الرشيد : ولِمَ ؟

قال الإمام : لأنه ولَدَني ولم يلدك .

الحسن والحسين ابناء الرسول (ص)

وفي رواية اخرىٰ في (أصول الكافي) ورد أن الإمام الصادق (ع) قال : نكاح زوجات الحسنين (ع) حرام ـ دون شك ـ على رسول الله (ص) ثم تلا هذه الآية الشريفة : ﴿ **وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم** ﴾ وليس الربائب .

وفي آخر آية المباهلة علم أن الحسن والحسين عليهما السلام دعوا ابناء النبي في هذه الآية وكذلك ورد في الروايات المتواترة عن الفريقين عن رسول الله (ص) انه اعتبر الحسنين أبنائه وذريتهم ذريته .

اذن فأبناء الحسين إلى يوم القيامة هم ذرية رسول الله وهم عموماً ممن يجب اكرامهم ولو كانت اعمالهم وأفعالهم غير صالحة ، كما روي عن رسول الله (ص) أنه قال : اكرموا اولادي ، الصالحون لله والطالحون لي[٣] ، وفي

---

(٣) نقل النوري هذه الرواية في كتاب (الكلمة الطيبة) في الصفحة ٣٣٠ عن كتاب (الدرة الباهرة) للشهيد الأول وكتاب (جامع الأخبار) و(المنهج) للصفوي و(المناقب) للدولت

رواية أخرىٰ (أحبوا اولادي) .

يقـول صاحب (فضـائل السـادات) : بعض العلماء قـالـوا ان المقصـود بالصالحين هم الائمة المعصومون الذي تجب مودتهم لله والمقصود بالطالحين هـم بقيـة الذريـة الطاهـرة وربما كـان هذا المـوضوع تعميمـا لجملة (وصالـح المؤمنين) في سورة التحريم التي فسرها العامة والخاصة بأمير المؤمنين (ع) .

تأييد مضمون الحديث بالروايات

ويدعم مضمون هذا الحديث الكثير من الروايات ونكتفي هنا بنقل واحدة فقط جاء في كتاب (الكلمة الطيبة) للنوري (الصفحة ٣٢٦) نقلا عن (تأريخ قم) وفي كتـاب (فضائـل السـادات الصفحـة ٣٨٣) نقـل أن الحسين بن حسن بن حسين بن جعفر بن محمد بن اسماعيل بن جعفـر الصادق كـان يرتكب اعمـالاً قبيحة في قم كشرب الخمر وغيرها إبّان حيـاة الإمام الحسن العسكـري (ع) ، وكان أحمد بن اسحاق الأشعري والي قم رجلاً مزيناً بزينة الصلاح والسـداد ، وقد جاء السيد المذكور يوماً لزيارة الوالي فأمر الوالي باغلاق الباب ومنعـه من الدخول ومقابلة الوالي .

واتفق ان الوالي نوىٰ الذهاب إلى بيت الله الحرام وعزم علىٰ زيارة الإمام العسكري وحين وصل إلىٰ عتبة الباب أمر الإمام باغلاق الباب في وجهه .

بعد التضرع والتوسل وكثرة البكاء تمكن الوالي من التشرف بمقابلة ذلك السيد وسأل عن ذنبه الذي استحق بسببه اغلاق الباب في وجهه فقال له الامام : لمـاذا اغلقت الباب في وجـه السيد ابي الحسن ؟ اجـاب : لقد كـان يشـرب الخمر .

قال الإمام : ان معاقبته بيد غيرك ، وليس من شأنك ان تتصرف هكذا مع

آبـادي الهندي ، ورویٰ في (فضـائل السـادات) عن كتاب (اللوامـع الإلهية) للفـاضل المقـداد الروايـة بهذه الصـورة (ولقولـه (ص) اكـرمـوا اولادي صـالحهم لله وطـالحهم لأجلي) .

ذرية النبي (ص) لا تتعامل معهم هكذا فتكون من الخاسرين .

بكىٰ أحمد واقسم بالله أنه لم يطرده الا ليتوب من شرب الخمر فقال الإمام (ع) (صدقت ولكن لا بد من اكرامهم واحترامهم على كل حال ، وان لا تحتقرهم ولا تستهين بهم لانتسابهم إلينا فتكون من الخاسرين)[٤] .

توبة السيد ابي الحسن نتيجة اكرامه

عندما عاد أحمد إلىٰ قم جاء الناس لزيارته وكان السيد حسين برفقتهم وحين رآه الوالي تقدم نحوه وعانقه وقبله واكرمه وأجلسه في صدر المجلس تعجب السيد حسين من تصرفه هذا وسأله عن السبب فحكىٰ له ما جرىٰ حين سمع السيد هذا الكلام ندم على أفعاله القبيحة وعاد إلىٰ البيت واتلف جميع الآت اللهو والشراب واصبح من العابدين المتقين الصالحين في زمانه يلازم المسجد ويعتكف فيه .

لا يتنافىٰ مع النهي عن المنكر

لو قيل استناداً على هذا فأنه لا يجب نهي السيد عن المنكر اذا صدر عنه ووجوب النهي عن المنكر هو لغير السادة ، فالجواب ان الأمر ليس كذلك فوجوب النهي عن المنكر أمر عام لا يقبل التخصيص الا في مواضع التقية والذي ذكر في موضوعه .

نعم ، بالنسبة للسادة يجب الجمع بين المودة والنهي عن المنكر أي أنه اذا شاهد الإنسان سيداً يرتكب منكراً فلا يجوز له ان يكرهه ويمتنع عن حبه قلبياً ، بل يجب ان يسعىٰ إلىٰ منعه عن ارتكابه مع بقائه على حبه اياه كالأب الذي يرىٰ من ابنه منكراً فان ذلك لا يؤدي بطبيعة الحال إلى قطع علاقة الابوة والبنوة ولا النفقة الواجبة عنه بل يسعىٰ عن طريق المحبة واظهار الود (المرحلة الاولىٰ في النهي عن المنكر) والنصيحة منعه عن ارتكاب المحرمات .

---

(٤) فضائل السادات/ الصفحة(٣٨٣) .

وجوب مراعاة مراحل النهي عن المنكر

فإن لم يرتدع وكان محتملا أنه سيترك المحرَّم اذا استعملت معه الشدة والقوة فيجب ان يكون تعاملك معه خشناً ـ مؤقتاً ـ ويقلل من الاحسان إليه ويكتفي بالمقدار الواجب .

فأن لم ينفع ذلك أيضاً معه ولم ينته واحتمل أنه سيترك المعصية بالضرب التأديبي (الضرب الذي لا يخرج الدم ولا يجرح ولا يسود مكانه) امكن ضربه ، فأن لم ينفع الضرب أيضاً واستمر علىٰ اثمه ، أو كله إلىٰ نفسه ، ولكي لا يتجرأ علىٰ إرتكاب المحارم اكثر ولا ينسىٰ سوء فعله يجب ان لا يعامله ببشاشة ولا يُظهر له الحب بل يضمره وفي جميع هذه الحالات تظل علاقة الأبوة والبنوة قائمة .

خادم مقابل ملك

وكذلك يجب مراعاة مراحل النهي عن المنكر في التعامل مع السادة بل يجب ان يعتبر الإنسان نفسه امامهم كالخادم الذي يريد بناءاً على أوامر السلطان أن يؤدب ابنه ـ ابن السلطان ـ وعلى هذا ينبغي ان يكون ابنه عارياً عن المنكرات ومؤدباً بآداب الشرع المقدس وحينها يستطيع بكل لطف وأدب أن يحمي أميره من الانحراف ويكون بذلك مبيضَّ الوجه امام الله ورسوله الأعظم .

وقد ورد شرح مفصل لموضوع الحبِّ والبغض هذا في كتاب (القلب السليم) .

الأمر الآخر أنه ورد في روايات كثيرة عن رسول الله (ص) وائمة الهدىٰ ان نسل فاطمة (ع) عموما سيشمله العناية والمغفرة الإلهية والشفاعة المحمدية ولن يذوق عذاب جهنم ، وستؤثر فيهم العصمة والطهارة الذاتية التي انعم الله بهما علىٰ جدتهم فاطمة بشكل يكونون معه عموماً طاهرين انقياء السريرة ، واذا اتفق ان صدر عنهم ذنب أو خطأ أو انحراف في العقيدة أو العمل فسيكون مؤقتاً وعارضاً اضافة إلىٰ انهم سيبصرون به ويتوبون قبل الموت .

واذا عذبوا في البرزخ بسبب ذنوبهم فانهم سينعمون بشفاعة جدهم في

الآخرة ولن يذوقوا عذاب الدوزخ ، ولأن نقل جميع الروايات يطيل الكلام فسنكتفي بعدد منها :

أهل الكتاب علىٰ ثلاثة أقسام

ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير ، جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير[٥] .

تفسير الآية بالذرية الطاهرة

نقل في كتاب (غاية المرام) حديثان عن العامة وثمانية عشر حديثاً عن الخاصة بطرق متعددة عن أمير المؤمنين (ع) والأئمة : الباقر والصادق والكاظم والرضا والعسكري عليهم السلام خلاصتها أن المقصود بـ(الكتاب) في الآية الشريفة هو القرآن الكريم وبـ(الذين اصطفينا) هو اولاد علي وفاطمة الذين اصطفاهم الله واختارهم من بين العباد .

ولا شك ان علم القرآن هو لدىٰ أهل البيت والقرآن الكريم هو الأرث الإلهي الذي تركه الرسول لهم ، وقد ورد في الحديث المتواتر عن الفريقين ان رسول الله (ص) قال : اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتىٰ يردا عليّ الحوض .

وبناءاً علىٰ وذلك فأن توريث القرآن للذرية الطاهرة لفاطمة هو لكون الائمة معصومين .

السادة ثلاثة اقسام أيضاً

المقصود بـ(ظالم لنفسه) هم السادة الذين لهم سيئات أيضاً اضافة إلىٰ الحسنات والخيرات ، أو الذين لم يعرفوا قدر إمام زمانهم .

والمقتصد هو السيد الذي لا ذنب له وهو مقرون بالحسنات والخيرات

---

(٥) سورة فاطر/ الآيتان(٣٢/٣٣) .

وكل اعماله منحصرة في الدوام علىٰ ذكر الله ليل نهار أو الذين عرفوا حق امام زمانهم واطاعوه ، أما (السابق بالخيرات) فهم الأئمة المعصومون الاثنا عشر .

تفسير عن الإمام الصادق للآية

وروي في (الميزان) عن (معاني الأخبار) ان الإمام الصادق (ع) قال : (الظالم لنفسه) هو الذي يعبده هواه ويلهث وراء الملذات النفسية .

والمقتصد هو الذي يكون بصدد اصلاح قلبه بتنقيته من الرذائل واكسابه الفضائل (ذكر ذلك مفصلاً في كتاب القلب السليم) .

و(السابق بالخيرات) هو الذي لا يغفل عن ذكر الله ولا للحظة ولا يطلب إلا رضاه ولا يرجو إلا قربه .

وروى عن الدر المنثور عن رسول الله أنه قال : (الظالم لنفسه) حسابه طويل وعسير وسيذهب إلىٰ الجنة في النهاية ، (والمقتصد) حسابه يسير وهو من الناجين ، و(السابق بالخيرات) لا يحاسب ويذهب إلى الجنة بغير حساب .

وبناءاً علىٰ هذا فأن كل ذرية فاطمة سيدخلون الجنة وسينجون كما وعدوا في الآية الشريفة ولكن درجاتهم ومراتبهم مختلفة .

انتهار الإمام الصادق لمنتقدي زيد

روي في كتاب (فضائل السادات ص٢١) عن (معاني الأخبار) للصدوق عن ابي سعيد المكاري أنه قال : كنا عند الإمام الصادق حين ورد ذكر زيد بن علي بن الحسين (ع) ومن خرج معه فأراد بعض من في المجلس ان ينتقده ويتحدث عنه بما لا يرضي فنهاه الإمام عن ذلك وانتهره قائلاً : مهلاً ، ليس لكم ان تدخلوا فيما بيننا الا بسبيل خير ، إنه لم تمت نفس منا الا وتدركها السعادة قبل ان يخرج نَفَسه ولو بفواق ناقة ، قال : قلت وما فواق ناقة قال : حوالبها .

الاقرار بالإمامة حين الوفاة

وفي كتاب (الخرائج) روي عن حسن بن راشد ان الإمام الصادق (ع) قال له : يا حسن إنا أهل بيت لا يخرج احدنا من الدنيا حتىٰ يقر لكـل ذي فضلٍ فضله (أي بالعقائد الحقة وامامة الائمة الاثني عشر والموت مؤمنين) ، والقصد فأنه لو كان لذرية فاطمة انحراف في العقيدة أو الفعل فانهم سيموتون وهم علىٰ بصيرة بالحق وبعد التوبة سعداء ، والشواهد على ذلك من الروايات والحكايات كثيرة ننقل هنا حكاية الرجـل الجليل عمر بن حمزة عن الجـزء ١٣ من بحار الانوار .

جاء في تنبيه الخاطر ان السيد الأجل علي بن إبراهيم العريضي العلوي الحسيني نقل عن علي بن علي بن نما أن الحسن بن علي بن حمزة الاقساسي روىٰ في بيت الشـريف علي بن جعفر بن علي المـدائني العلوي ان شيخا من غسالي الثياب كان معروفاً في الكوفة بزهده وتصوفه وكان يعتزل الناس ويعتكف للعبادة ويجدّ في تتبع الأخبار والآثار .

وحدث مرة ان كنت حاضراً في مجلس أبي فشاهدت الشيخ يتكلم وابي يصغي إليـه ، وسمعت الشيخ يقـول : كنت في مسجد الجعفي ـ وهـو مسجد قديم يقع خارج الكوفة ـ وكان الليل قد انتصف فانتهزت الفـرصة لأن المكـان خـال ومناسب للعبـادة ولكن ثـلاثـة اشخـاص دخلوا فجـأة وحين بلغـوا وسط المسجـد جلس احدهم علىٰ الأرض ومسـح الأرض بيـديـه فخـرج المـاء من بينهما .

توضأ منه وأشار إلىٰ الشخصين الآخرين فتوضـآ ووقف يصلي والآخران يأتمان به فذهبت انا أيضاً وآئتممت بـه وبعد ان أتم الصـلاة ظللت متحيراً في أمره واكبرت اخراجه الماء من الأرض .

سألت احد مرافقيه والذي كان يجلس عن يميني من هذا ؟ أجاب : هذا صاحب الأمر ابن الحسن العسكري .

تقدمت منه وقبلت يديه وقلت : يا ابن رسول الله مـا تقول في الشـريف

عمر بن حمزة ؟ هل هو على حق ؟ اجاب : لا ولكنه سيهتدي في النهاية وسيراني قبل الموت .

يقول راوي الخبر الحسن بن علي بن حمزة الاقساسي : ثبتنا هذا الحديث الممتاز (القيّم) ومضىٰ زمان طويل على تلك الواقعة حتىٰ توفي الشريف عمر بن حمزة وسمع أنه رأىٰ صاحب الزمان .

التقيت يوماً بالشيخ الزاهد في أحد الأماكن وذكّرته بالحكاية المذكورة وقلت وأنا ألومه : ألم تقل أن الشريف سيرىٰ صاحب الأمر قبل وفاته ؟! قال ومن قال لك أنه لم يره ؟

التقيت بعد ذلك بالشريف ابي المناقب ابن الشريف عمر بن حمزة وتحدثنا حول ابيه فقال : في آخر احدىٰ الليالي التي كان ابي فيها يرقد علىٰ فراش الموت وقد خارت قواه ووهن صوته وانا أجلس قربه والابواب مغلقة فجأة دخل علينا رجل ارتعبنا لرؤيته وعجبنا لدخوله والابواب مغلقة ولكننا لم نسأله عن كيفية دخوله .

جاء ذلك الرجل وجلس قرب أبي وتحدث معه بهمس لفترة من الزمن بينما كان أبي يبكي ثم نهض وذهب ، حين اختفىٰ عن الانسظار تحرك ابي بصعوبة وقال اجلسوني فأجلسناه ، عندها فتح عينيه وقال : اين ذلك الرجل الذي كان بقربي ؟ اجبنا : خرج من حيث اتىٰ ، قال : اذهبوا وابحثوا عنه .

حين ذهبنا في أثره وجدنا الأبواب مغلقة ولم نعثر علىٰ أثر منه فاضطررنا إلىٰ العودة وابلاغ ابي بالأمر .

ثم سألناه من يكون ذلك الشخص فأجاب أبي : أنه امام العصر ، ثم ساءت صحته مرة أخرىٰ واغمي عليه(٦) .

---

(٦) المهدي الموعود/ الصفحتان (٧٩٢ ـ ٧٩٣) .

مناقب الفاطميين

لو قيل ان بعض السادة ماتوا وهم مستمرون على الكفر والفسوق الجواب أنه من اين لنا ان نعلم انهم لم يتوبوا ويؤمنوا قبل الموت ولو ثبت ان سيداً مات وهو كافر أو فاسق لعلم أنه لم يكن من ولد فاطمة وعلىٰ فرض صحة نسبه فانه يعود إلى فرع آخر من اقارب الرسول (ص) وهم الذين ينتهي نسبهم إلىٰ هاشم جد رسول الله (ص) وكلهم ممن يستحقون الخمس .

ان ما قيل عن المقام والفضائل ومن ضمنها حسن العاقبة هو خاص بنسل رسول الله من فاطمة عليها السلام .

نار جهنم حُرّمت على ذرية الزهراء

روىٰ القطب الراوندي في كتاب الخرائج والجرائح عن حسن بن راشد عن الإمام الصادق أنه قال : يا حسن ان الله قد حرّم النار على ذرية فاطمة ، وفيهم نزلت آية ﴿ ثم ، ورثنا الكتاب . . . ﴾ .

كما نقل الصدوق هذه الرواية في (عيون اخبار الرضا) عن الإمام الرضا وظاهرها انها تشمل عموم ذرية فاطمة إلى يوم القيامة .

وتؤيد هذه العمومية الرواية التي نقلها الشيخ المفيد في (مجالس المتقين) عن جابر بن عبد الله الانصاري[٧] .

وكذلك الرواية التي نقلت عن الرسول (ص) في كشف الغمة[٨] ، وأخرىٰ نقلها الشيخ النجاشي في (الفهرست باب العين) عن جابر بن عبد الله الانصاري[٩] .

---

(٧) خرج علينا رسول الله (ص) اخذاً بيدي الحسن والحسين وقال : ان النبيّ هدين ربيتهما صغيرين ودعوت لهما كبيرين وسألت الله لهما ثلاثاً فاعطاني اثنين ومنعني واحدة ، سألت الله لهما ان يجعلهما طاهرين مطهرين زكيين فأجابني إلىٰ ذلك وسألته ان يقيهما وذريتها وشيعتهما من النار فاعطاني ذلك .

(٨) سألت ربي ان لا يدخل النار احداً من أهل بيتي فاعطاني ذلك .

(٩) ان الله حرم ولد فاطمة (ع) على النار .

وخـلاصة هـذه الروايـة ان ذرية فـاطمة لا يحتـرقون في نـار جهنم ولـو بشكل دائم ، لأنهم وكما قيل سابقاً لا يموتون وهم كفار ولو بشكل مؤقت لأنهم يوفقون للتوبة في الدنيا أو ينجون بشفاعة فاطمة (ع) بسبب البلايـا الدنيـوية أو عذاب البرزخ أو مصائب مواقف القيامة .

خطاب الإمام الرضا (ع) لزيد النار

لو قيل ان هذا الأمر خصص في روايات أخرىٰ لأولاد فاطمة دون واسطة أي : الحسن والحسين وزينب وام كلثوم كما جاء في (عيون اخبار الرضا (ع)) ان زيد النار كان يفتخر على الناس وهو في مجلس الإمام ويقول نحن كذا وكذا وحين سمعه (ع) قال : هل اغرّتك رواية أهل الكوفة بأن الله حـرم ولد فـاطمة علىٰ النار فوالله ان هذا خاص بالحسن والحسين والابناء بلا واسطة ، لقد كان ابوك موسى بن جعفر يطيـع الله ويقضي ليله قائمـا ونهاره صائماوانت تعصيـه فكيف ستكون وأبوك متساويين يوم القيامة اذن ستكون أعز من أبيك إلىٰ الله ، لقد كان الإمام الحسن (ع) يقول : لصالحنا ثوابان ، ولطالحنا عقابان[١٠] .

ينبغي ان لا تزيد الروايات من جرأة السادة

بامعان النظر في هذه الرواية والروايات الأخرىٰ يتضح ان بعض السادة من بني فاطمة ولأنهم استغلوا حديث (ان الله حرّم ذرية فاطمة على النار) فقد اغتروا واعتبروا انفسهم لا يستحقون عقـاباً علىٰ ذنـوبهم بل أنهم سيكـونون من أهـل الجنة ، وبدلاً من ان تزيد هذه البشارة من أملهم ورجائهم وان يشكروا الله على هذه المنحة ويزيدوا من طاعتهم وتطهيـر نفوسهم من الـذنوب ليصلوا جـدتهم الزهراء ، فقد ازدادوا جرأة علىٰ ارتكاب المعاصي .

---

(١٠) فضائل السادات / الصفحة ٤٩١) .

الفوز الاستحقاقي والفوز التفضيلي

لذا يقول الإمام (ع) لتنبيه من يستولي عليه هـذا الوهم الخـاطيء ، ان تحريم اولاد فاطمة علىٰ النار (عدلاً واستحقاقاً منحصر في البطن الأول لفاطمة) الحسن والحسين ووزينب وام كلثوم وإنما حرّمت النار عليهم فلأنهم لا يرتكبون عملاً يستحقون معه دخول جهنم .

اما : الأجيال التالية من ذرية فاطمة فلا يعفون من العقاب إذا اذنبوا ، اما اذا قاموا بعمل صالح يستحق الأجر والثواب ودخول الجنة فانهم لن يـدخلوها بغير حساب واعلىٰ الدرجات ، ولا شك أن السادة متساوون مع بقية الناس في الواجبات الإلهية واستحقاق الثواب والعقاب .

سؤال اسماعيل اباه الإمام الصادق (ع)

روىٰ الصدوق في (عيون الاخبار) عن ابي الصلت عن الإمام الرضا (ع) أنه قال : سأل اسماعيل أباه الإمام الصادق : ما تقول في المذنب منا (السادة من بني فاطمة (ع)) ومن غيرنا ؟ فاجابه بتلاوة هذه الآية : ﴿ **ليس بامانيكم ولا اماني أهل الكتاب من يعمل سوءً يجز به** ﴾[11] .

والخلاصة فأن السادة متساوون مع بقيـة الناس في جميـع التكاليف من واجبات ومحرمات إلى الحد الـذي تجب فيه مـودة بقية السـادة عليهم أي أنه يجب على كل سيد ان يحب سائر السادة وذرية النبي (ص) .

التوفيقات الإلهية للسادة ببركة الزهراء

كل ما في الأمر ان الله سيحفظ اكراماً لحرمة ، فاطمة ـ ابناءها من الموت كفاراً بحيث يخلدون في جهنم ، اما بقية الذنوب التي تصدر عنهم فما كان منها قابلاً للغفران فانه يغتفر ، كمـا يمحو عنهم بعض الـذنوب عن طـريق توفيقهم للتوبة ويمحو بعضها الآخر بالابتلاءات والمصاعب الدنيوية أو عذاب البرزخ أو

(١١) سورة النساء/ الآية(١٢٣) .

صعوبة وطول مواقف القيامة واخيراً وحين يبلغون موقف الشفاعة وهو آخر المواقف فلا يدخلون جهنم وذلك بشفاعة جدتهم فاطمة (ع) .

اما دخول الجنة فأنهم يستحقونه لأنهم مؤمنين لكن الدرجات والمقامات في الجنة التي لم يستطيعوا بلوغها في الدنيا وبمقدار استعدادهم ، وليساقتهم فستنجدهم شفاعة فاطمة وشفاعة الشافعين .

والخلاصة فان حديث (ان الله حرم ذرية فاطمة علىٰ النار) الذي قيل بشكل مطلق هو دلالة علىٰ الفضل الإلهي بحق ذرية فاطمة (تفضلا وليس استحقاقاً) بينما حديث الاختصاص بالبطن الأول لفاطمة هو اشارة إلىٰ استحقاقهم وإلىٰ والعدل الإلهي .

الثواب والعقاب المضاعف

اما حديث (للمحسن منا اجران وللمسيء منا عقابان) فهو أيضاً دلالة علىٰ الفضل والعدل الإلهي بحق ذرية فاطمة أي أن المحسنين من السادة بني فاطمة ولأجل شرف فاطمة لهم اجران أحدهما جائزة على عملهم والثاني فضل إلهي بسبب شرف نسبهم ، وللمسيئين عقابان عدلاً واستحقاقاً ، الأول على أصل ذنبه والآخر علىٰ هتك حرمة نسب فاطمة .

والسادة أيضاً يجب ان يخافوا

نعم يجب ان لا يغتر السادة وتزداد جرأتهم علىٰ الذنوب املاً في الشفاعة ، لأن استحقاق العذاب امر قطعي ، بينما وصول الشفاعة قبل العذاب ومصائب البرزخ ومواقف القيامة امر مشكوك فيه .

كما ينبغي علىٰ السادة ان يخافوا أيضاً لكون الآخرين يغدون بيض الوجوه مرفوعي الرأس أمام الرسول (ص) بواسطة حبهم واحسانهم واكرامهم للسادة ويبلغون بذلك درجة من الثواب الإلهي ، ولكن هؤلاء السادة وبسبب عدم قيامهم بعمل صالح ! وارتكابهم المعاصي ـ لا سمح الله ـ فسيكونون سود الوجوه مهطعين ومحرومين من الثواب والدرجات .

واجب الناس لا يختلف

ان ما قيل سابقا هو شرح لوضع السادة من بني فاطمة وواجباتهم أما واجب الناس تجاههم فهو ان يحبوهم بكل جوارحهم من اعماق نفوسهم ويعاملوهم بكل ادب ، فهذا من مستلزمات الإيمان وتعظيم الله ورسوله (ص) ، ويتقرب إلىٰ رسول الله ويكون صاحب حق بواسطة اكرامه إياهم وإحسانه إليهم .

واذا اصابه من سيد مالا يتوقعه ولا يرضيه بل ظلم واذى فيجب ان يسامح ولا يدع لعداوته سبيلاً إلىٰ قلبه ، وقد سبق ان نقلنا قول رسول الله (الطالحون لي) أي اكرموا طالحهم لأجلي واحبوه .

يقول الفاضل الدولت آبادي في كتاب (المناقب) عند بيانه معنىٰ المودة التي أمر بها في الآية الشريفة بحق أقارب الرسول (ص) .

والمودة هي أن يعتبر ظلم وجفاء المحبوب شفاءً للنفس وذنبه وخطأه وفاءً منه وان يستسلم لمشاكله واخفاقاته وأن يسعىٰ علىٰ كافة الاصعدة لتكمل المودة اذن فمودة العترة هي امر واجب بالنص الصريح (يعني القرآن) وثابت فمن اقرّه واطاعه كان مؤمناً موحداً والا فهو كافر .

معاداة السادة تؤدي إلىٰ جهنم

الروايات في تهديد من في قلبه عداء للسادة كثيرة وللاطلاع عليها يراجع كتاب (فضائل السادات) ، ومن جملة هذه الروايات .

قال رسول الله (ص) : عليكم بحب اولادي فأنه يدخلكم الجنة لا محالة ، وإياكم وبغض اولادي فانه يدخلكم النار .

فان شاهدتم منكراً أو عملا مخالفاً للشريعة يصدر عن سيد ، فيجب منعه منه بكل ادب ومحبة ، وقد ذكر تفصيل هذا الموضوع سابقاً .

البركات الدنيوية والاخروية للإحسان إلى السادة

ألف علماء السنة والشيعة كتباً في الخيرات والبركات والنتائج الدنيوية والآخروية لاكرام السادة والاحسان إليهم ، وقد أورد السبط الميرداماد اسماء عدة منها في بداية كتاب (فضائل السادات) كما نقل في نفس الكتاب روايات وحكايات كثيرة .

كما نقل النوري في كتاب (الكلمة الطيبة) أربعين حديثا وحكاية نكتفي هنا بذكر حكايتين منها :

نقل في (فضائل السادات) عن الشيخ الجليل شاذان بن جبرئيل وكذلك عن الشيخ منتجب الدين صاحب الفهرست المشهور ، وعن كتاب ثاقب المناقب عن إبراهيم بن مهران أنه قال :

كان في الكوفة تاجر اسمه أبو جعفر وكان حسن التعامل مع الناس اذا جاءه سيد علوي ليقترض منه اعطاه ما يريد وقال لغلامه اكتب ذلك قرضاً لعلي بن ابي طالب (ع) .

وظل على تلك الحال مدة مديدة حتىٰ ادبرت عنه الدنيا واصبح فقيراً فرجع إلى دفتره يفتش فيه عن مدينيه فمن كان حياً طالبه ومن مات حذف اسمه .

وكان يجلس يوماً عند باب داره حين مرّ به رجل وجرحه بلسانه قائلاً : ماذا فعل مدينك علي بن ابي طالب (ع) ؟ فآلمه بكلامه ذاك .

حزن التاجر لكلامه وتألم ودخل بيته كئيباً وعندما آوىٰ إلىٰ فراشه رأىٰ في المنام رسول الله (ص) والحسن والحسين يجريان بالقرب منه فسألهما (ص) : أين ابوكما ؟ وفجأة أجاب الإمام علي (ع) : انا حاضر يا رسول الله ، قال الرسول (ص) : لماذا لا تعطي هذا الرجل حقه ؟ اجاب الإمام (ع) : لقد جئت بالمال لاعطيه حقه بحضورك ، قال الرسول : اذن اعطه إياه .

اخرج الإمام كيساً من الصوف الابيض وقال : هذا حقك فخذه وان جاءك احد من اولادي فلا تبخل عليه ولن تذوق الفقر بعد هذا .

يقول التاجر : استيقظت فوجدت كيس الذهب في يدي فناديت زوجتي وأيقظتها وأنا أقول خذي كيس الذهب هذا .

قالت زوجتي : اتق الله يا رجل ولا يجعلنك الفقر تمد يدك إلى مال لا حق لك فيه ، فلو اخذت هذا من التجار بالحيلة والتزوير فأعده إليهم واصبر ان الله مع الصابرين وهو خير الرازقين .

قص التاجر عليها رؤياه فقالت : ان كنت صادقاً فأرني حساب قرض علي (ع) يقول الرجل : احضرت الدفتر وفتحته فلم اجد شيئا اسمه قرض علي بن أبي طالب لأن المبلغ كان قد سدِّد بقدرة الله سبحانه وتعالىٰ .

حكاية القاضي والعلوية

كان في البصرة علوية فقيرة لها أربع بنات لا يملكن لشدة الفقر قوتاً ولا لباساً وحين اقترب العيد بكت صغراهن وقالت : يا أماه هل يمكن ان نشبع نحن المساكين في يوم العيد هذا من خبز الشعير ؟ تألمت الأم لحالها وبكت وخرجت من البيت علّها تحصل على خبز واتفق ان مرّت بباب قاضي المدينة ويدعىٰ أبا الحسين وشرحت له حالها وقالت اعلم انك ستُسأل يوم القيامة فلا تضيع حق أهل البيت .

قال القاضي : تعالي غداً وسأعمل ما بوسعي ولن اقصر في الإحسان إليك عادت العلوية إلى بيتها ووعدت بناتها خيراً ، فقالت أحداهن : يا أماه لو اعطاك القاضي عدة دراهم من الفضة فماذا تشترين لي ؟ سألت امها وما تريدين ؟ اجابت : أريد مقداراً من القطن لاغزله وانسجه واخيط منه ثوباً ، وقالت الأخرىٰ : منذ مات ابي ونحن لم نذق خبزاً مما يباع جاهزاً والذي كان ابي يأتينا به فأن حصلت علىٰ مالٍ فاشتري لنا شيئا منه ، وقالت الصغرىٰ : وأنا أيضاً أريد رغيفاً كاملاً من الخبز .

حين اصبح الصباح ذهبت الأم علىٰ عجل إلى بيت القاضي وجلست في احدىٰ الزوايا حتىٰ تفرق الناس عندها اخبرت القاضي بأنها هي التي جاءت بالأمس ووعدها خيراً وقد جاءت اليوم بناءاً على وعده .

صرخ القاضي في وجهها وأمر غلمانه بطردها خرجت العلوية باكية كسيرة القلب وهي تندب وتقول : ماذا أقول لابنتي الصغيرة فاطمة وللكبيرة زينب وهما تنتظران عودتي ؟ كيف سأنظر في وجهيهما وبأي لسانٍ سأعتذر إليها ؟ ثم قالت : اللهم لا تخيب ظني فأني رفعت إليك قصتي ومنك سألت حاجتي ، انك على كل شيءٍ قدير .

في هذه الاثناء مر مجوسي يركب فرساً وهو ثمل فسمع بكاءها وانينها فظن لسكره انها تغني فقال : كم هو جميل صوتك ومتألم قلبك ما خطبك ؟ظنت العلوية أنه مسلم وبكمال وعيه فشرحت له حالها .

أمر المجوسي غلمانه باصطحابها إلىٰ بيته ثم قدم لها صندوقاً يضم اربعمائة أشرفي (نوع من النقود) وخمسة ثياب وقال لها : هذا لك ولبناتك .

رفعت العلوية يدها بالدعاء للمجوسي ثم غادرت حين رأت بناتها النقود والثياب دعون للمجوسي وقلن : اسكنه الله في قصور الجنة وجعله من اوليائه واحبائه .

وفي تلك الليلة رأىٰ القاضي في المنام أنه دخل في بستان ورأىٰ قصوراً فارهة وعندما أراد دخولها منعه رضوان وحين سأله عن السبب اجابه : لقد كان هذا منزلك ومأواك لو انك وفيت بوعدك لتلك العلوية ورفعت عنها قلقها وألمها والآن وقد تبدلت فقد تبدلت هذه النعمة واصبحت من نصيب المجوسي .

استيقظ القاضي مرعوباً وذهب فوراً إلىٰ بيت المجوسي وسأله : أي عمل صالح بدر منك ؟ اجاب المجوسي : انا ثمل منذ اسبوع ولا اعلم أي شيء عن نفسي .

قال القاضي : ليس الأمر كذلك ، فكّر وتأمّل ، ولما لم يخطر ببال المجوسي شيءُ فقد ذكره خدمه وغلمانه بما اعطىٰ لتلك العلوية .

قال القاضي : اتبيعني ثواب عملك هذا بعشرة الاف اشرفي ؟ اجاب المجوسي متسائلاً : وما الغرض من هذه المعاملة ؟

قصى عليه القاضي حكاية تلك العلوية وما جرى بينه وبينها وما رآه في

المنام فقال المجوسي : أيها القاضي قلّما يحظىٰ عمل الإنسان برضىٰ الله والآن وقد عرفت أن عملي هذا حظي برضا الله فكيف استبدله بمال الدنيا الفاني ؟ اعطني يدك لأنطق بالشهادتين وأسلم ثم اسلم وصلح اسلامه وارسل في طلب العلوية واعطاها نصف ما يملك(١٢) .

النظر إلىٰ وجه السادة عبادة

سأل احد الحاضرين في مجلس الإمام الرضا (ع) : هل ان المقصود بقولكم (النظر إلى وجه ذرية فاطمة عبادة) هو الائمة الاطهار أو كل السادة ؟ اجاب الإمام : مطلق السادة ما داموا لم ينحرفوا عن منهاج الحق (ولم يتلوثوا بالذنوب) فالنظر إلىٰ وجوههم عبادة .

هل النهي عن المنكر مقدّم أو المودة

كما ذكر سابقاً ونكرر هنا لأهمية الموضوع ، عندما يتنافىٰ اظهار المودة مع النهي عن المنكر فلمن تكون الأولوية ؟ فمثلا حين يكون السيد من نسل الزهراء فأكرامه واجب وهو الآن بحاجة إلى ثياب لكنه لا يصلي فلو كسوته أو لم تكسه فأن الأمر لا يختلف بالنسبة له وهو لن يصلي ومع هذا يجب اكرامه وتبقىٰ المودة علىٰ وضعها .

وفي الحالة التي يُظن فيها تأثير النهي وجب مراعاة مراحل النهي عن المنكر أي ان يبدأ بنصحه بلسان ناعم عن طريق التشويق والترغيب فأن أثّر فذلك لا يتنافىٰ مع اكرامه ومودته أبداً بل أنه سيضرب عصفورين بحجر حيث سينهىٰ عن المنكر ويظهر الودَّ لذرية الرسول في آن واحد .

اما اذا لم يؤثر فيه اكرامه أو عدمه وكان احترامه وعدم احترامه سواء بالنسبة إليه وجب اكرامه وظل اظهار المودة على حاله السابق .

بل ربما يخجل حين يعلم أنه يكرم احتراماً لجده فيتنبه إلىٰ خطأه .

اما اذا كان ممن يؤدي الصلاة اذا ترك الإحسان إليه ، فأن النهي عن

---

(١٢) فضائل السادات الصفحتان (٣٦١/٣٥٧) من النص العربي والترجمة .

المنكر مقدم بطبيعة الحال علىٰ الإحسان ولاجل اصلاح السيد يجب الامتناع عن الإحسان إليه لأن ترك الإحسان هنا هو في الحقيقة احسان إليه .

لكنه قلما يتنبه السيد بهذه الوسيلة ، وان ما سمعتموه من أن اعطاء لقمة خبز لتارك الصلاة هي بمثابة هدم الكعبة فذلك لئلا يُسجع احد على ترك الصلاة أما اذا كان الأمر لا يختلف بالنسبة إليه سواء اعطيتموه أو حرمتموه فأنه لا يصلي ولم يكن احسانكم إليه حراماً .

وفي اغلب الأحيان يهتدي الإنسان على أثر الإحسان كما ذكرنا سابقاً في قضية السيد ابي الحسن الذي كان يشرب الخمر ولم يتنبه بواسطة اعراض احمد ابن اسحق ولكنه انتبه بعدا ان علم أنه يحترمه تلبية لأمر الإمام (ع) بمراعاة نسبهِ وترك المنكر حتىٰ آخر عمره بل أصبح من خيرة أهل زمانه .

المحاضرة الرابعة عشرة

﴿ قل لا اسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربىٰ ﴾

ومن يقترف حسنة تزد له فيها حسناً (سورة الشورىٰ/ الآية(٢٣)) .

النقطة المهمة في هذه الآية الكريمة والتي نبّه إليها بعض المفسرين ان الله تعالىٰ قال : ﴿ إلاّ المودة في القربىٰ ﴾ ولم يقل (الاقرباء) لأن أهل الإيمان تخلو قلوبهم من غير أهل البيت في مقام المودة وهي ليست إلاّ دعاءً لحبّ أهل البيت ، وبعبارة أخرىٰ تكون (في القربىٰ) هي الوعاء الخاص (للمودة) .

الرسول (ص) يعرف بذوي القربىٰ

روىٰ الزمخشري وهو من كبار علماء العامة وكذلك الثعلبي والإمام أحمد بن حنبل وهو أحد ائمة المذاهب الأربعة ان رسول الله (ص) قد سئل عمن يكون ذوو القربىٰ الذين اوجب الله تعالىٰ مودتهم في القرآن فأشار الرسول إلىٰ علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، وفي رواية أخرىٰ قال وذريتهما .

ومضمون رواية أخرىٰ أنه قال : يا علي انَّ أول من يدخل الجنة انا وأنت وفاطمة والحسن والحسين وذرياتنا وازواجنا .

وفي رواية أخرىٰ أنه قال : مراعاة حق اولاد الزهراء أمر واجب وضروري

وهذا هو الشرف الذي وصلهم من جدتهم الزهراء ويمكن للناس ان يرتبطوا بجدتهم بواسطة الإحسان إليهم .

أربع فرق وعدوا بالشفاعة

روىٰ الصدوق وكتب العلامة الحلي أيضاً في وصيته لابنه فخر المحققين ان رسول الله (ص) قال : اربع فرق تنالهم شفاعتي يوم القيامة ولو جاؤوا إلىٰ المحشر ومعهم ذنوب أهل الدنيا أولهم من يواسي ذريتي - الثاني من يعين ذريتي حين تظلم الثالث من يقضي حاجة من حوائجهم - الرابع من احبهم بقلبه ولسانه (وليس نفاقا) .

كذلك نقل الصدوق عليه الرحمة وذكر العلامة الحلي في وصيته رواية تصل في نسبها إلى الإمام الصادق (ع) أنه في يوم القيامة ينادي منادٍ من الله : أيها الناس اصمتوا ، ها هو محمد (ص) يريد ان يتحدث معكم فيسكت الجميع وينصتون فيقول رسول الله (ص) : أيها الناس من له فضل عليّ أو إحسان اليّ وله حق علي فلينهض لأردّ له جميله .

يقول الناس : ومن الذي له حق وفضل ومنّة عليك يا رسول الله ، ما من فضل وحق الا من الله ورسوله فأنت صاحب الحق والفضل والمنّة علينا ولسنا نحن .

عندها يوضح الرسول كلامه : نعم من آوىٰ احد اولادي وكساه وأطعمه فلينهض لأكافئه ، يقول الإمام الصادق فينهض الكثير ممن قاموا بعمل كهذا .

ثم يجيء النداء يا حبيبنا محمد (ص) ، ان أجر هؤلاء بيدك ، اسكنهم في أي مكان شئت من الجنة ، فيسكنهم رسول الله في الجنة في مقام الوسيلة وهو مجاور لمحمد (ص) وآل محمد حيث لا يفصل بينهما أي حجاب .

رسالة النجاشي إلىٰ الإمام الصادق (ع)

نقل المجلسي عليه الرحمة عن عبد الله بن سلمان أنه قال : كنت في مجلس الإمام الصادق (ع) حين دخل مرافق عبد الله النجاشي وسلّم علىٰ الإمام

وأعطاه رسالة .

منه كتب فيها (بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فقد ابتليت بحكومة الاهواز وأرجو من سيدي ومولاي ان يعين لي حدوداً لأعرف ما الذي يقربني في عملي هذا من الله ورسوله (ص) وكيف يجب ان اتصرف ولمن اعطي زكاة مالي وعلام اعتمد ومن الذي ائتمنه علىٰ سرّي لعل الله ينجيني من العقوبة ببركة هدايتك ، انك حجة الله بين العباد وامينه في البلاد افاض الله نعمه دائما عليك .

جواب الصادق (ع) علىٰ رسالة النجاشي

يقول عبد الله بن سليمان ان الإمام (ع) كتب في جوابه يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم : حفظك الله تعالىٰ باحسانه وتلطف عليك بامتنانه وحماك برعايته إنه علىٰ كل شيء قدير .

اما بعد فقد جاء مبعوثك برسالتك فقرأتها وعلمت ما تقصد ، ذكرت انك ابتليت بحكومة الاهواز وقد سررتُ لذلك النبأ وحزنت ، سررت لأن الله ربما انقذ بواسطتك مضطراً خائفاً من آل محمد (ص) واعز بسببك ذليلاً منهم ، وأخمد بماء لطفك نار جور المخالفين لهم ، واما حزني فلأن أقلّ ما اخاف عليك منه هو أن تضيق علىٰ أحد من الأصحاب والشيعة ، أو أن تطلب منه شيئا لا يقدر على دفعه وبذلك لا تشم رائحة الجنة وتحرّم الفردوس علىٰ نفسك[1] .

والغرض هنا هو القسم الأول من كلام الإمام الصادق (ع) الذي ذكر فيه سبب سروره وهو التمكن من مساعدة المساكين من السادة .

منزل في الجنة بجوار أهل البيت (ع)

يقول هشام بن الحكم ان ثرياً من أهل الجبل في بلاد الشام كان يزور الإمام الصادق في أيام الحج وكان الإمام يسكنه في بيته في المدينة وكان حجه وبقاؤه في المدينة يطول ، لذا سلّم الإمامَ عشرة الاف درهم وطلب إليه ان

---

(١) فضائل السادات الصفحتان (١٠٠/١٠١) .

يشتري له داراً ليقيم فيها عند قدومه بعد انتهاء موسم الحج .

حين عاد إلىٰ المدينة سأل الإمام ما اذا كان قد اشترىٰ له تلك الـدار ، فاجابه الإمام : نعم وأراه السند وقد كتب فيه : بسم الله الرحمن الـرحيم هذا مكتوب معاملة جعفر بن محمد لفلان بن فلان الجبلي حيث اشترىٰ له داراً في الجنة يحدّهـا من جهة منـزل رسول الله ومن الثـانية امير المؤمنين ثم الحسن والحسين) ، حين قرأها قال : جُعلت فداك لقد رضيت بهذا .

قال الصادق (ع) : وقـد قسمتُ ذلك المـال بين اولاد الحسن والحسين عليهما السلام وارجو ان يتقبلها الله ويعوضك عنها بالجنة .

يقول الراوي : بعد عودة الرجل إلىٰ وطنه مرض مرضاً شـديداً وشـارف على الموت فجمع واقسم عليهم ان يدفنوا ذلك السند معه ، ففعلوا ذلك حين دفنه وفي صباح اليوم التالي اجتمع اقاربه عند قبره فوجدوا السند فوقه وقد كتب عليه بخط القدرة : (وفىٰ لي واللهِ جعفر بن محمد بمـا قال) وفي روايـة أخرىٰ (وفىٰ وليُّ الله جعفر بن محمد بما قال) .

المحاضرة الخامسة عشرة

﴿ قل لا اسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربىٰ ﴾

المعصومون الأربعة عشر نور واحد

يرد في موضوع الولاية بحث حول افضلية أهل بيت العصمة والطهارة علىٰ الأنبياء السابقين ، بل علىٰ الأنبياء اولي العزم ، وكذلك افضلية هذه الانوار الأربعة عشر على بعضهم البعض .

اما بالنسبة لمقام النورانية وحقيقة هذه الانوار الطاهرة ، وافضلية وتقدم بعضهم علىٰ بعض فلا شك في ذلك بحيث يحق للآخرين التحدث في هذا الأمر لأنه لا يستطيع تعيين الأفضل إلاّ من كان بمرتبتهم ومستواهم ولهذا يجب اتباع ما ورد عن اولئك العظماء أنفسهم في هذا الموضوع .

يستفاد من الروايات الواردة عن الفريقين ان رسول الله (ص) قال : (انا وعلي من شجرة واحدة وسائر الناس من شجر شتىٰ) وفي رواية أخرىٰ أنه قال : (ان الله خلق الاسماء (شبه النورانية) للمعصومين الأربعة عشر في ساق العرش قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف سنة .

ونقل في كتاب (غاية المرام) في الباب الأول منه تسعة عشر حديثاً عن العامة وأربعة عشر عن الخاصة تقول ان رسول الله وأمير المؤمنين واحد عشر

اماماً هم نور واحد ، كما ورد في روايات الشيعة والتي ذكرناها سابقاً (اولنا محمد واوسطنا محمد وآخرنا محمد كلنا محمد) صلى الله عليهم أجمعين .

افضلية أهل البيت بالاسباب العارضة

اما بحسب عالم الظهور والخلق فبما أن رسول الله هو مبدأ سائر الانوار فهو مقدم وله الأفضلية وكذلك علي لأنه نفس رسول الله وله صفة الابوة بالنسبة للأئمة فهو أفضل منهم .

اما بالنسبة للحسنين (ع) فقد نقل المحدث الجزائري في (الانوار النعمانية) روايات في تساويهما وعدم ترجيح أحدهما علىٰ الآخر ومنها ان الحسنين كتبا وهما طفلان مجموعة اسماء وذهبا بالورقة إلىٰ الرسول وسألاه عمن خطه أفضل من الآخر فقال (ص) : يا نور عيني انكما تعلمان انني أمي ولم أتعلم القراءة فاذهبا إلىٰ ابيكما علي ، حين ذهبا وسألاه اجاب : ان هذا الأمر يعود إلىٰ امكما الزهراء .

كان للزهراء عقد مؤلف من سبع خرزات فقالت سأسكب هذهِ الخرزات فمن رَفَعَ منكما اربعاً منها فهو الفائز .

رفع كل من الحسنين ثلاث خرزات فأمر جبرئيل بسان تقسم السابعة إلى نصفين ليأخذ كل منهما نصفاً ، ويتضح من هذه الرواية ان الله لم يرضَ بترجيح أحد هذين العظيمين علىٰ الآخر .

خصائص الحسين وافضليته

نعم ان للحسين خصائص كالشفاء بتربته واجابة الدعاء تحت قبته وكذلك كون الأئمة من نسله ، لكن هذه الخصائص لا تدل علىٰ افضليته بل انها امتيازات وخصوصيات .

ويستفاد من الروايات ان الحسنين مقدّمان ومفضلان علىٰ سائر الأئمة ، اما سائر الأئمة فقد نقل المحدث المذكور عن الصدوق ان خاتم الأنبياء أجلس يوماً الحسن علىٰ فخذه الأيمن والحسين علىٰ فخذه الأيسر وقال لهما : (بأبي

أنتما اختاركما الله تعالىٰ مني ، ثم قال : يا حسين اختار الله من صلبك تسعة ائمة علي ، محمد ، جعفر ، موسىٰ ، علي ، محمد ، علي ، حسن ، محمد وكلهم عند الله في الفضيلة سواء)

وجاء في سائر الروايات ان القائم المهدي هو أفضل الباقين .

افضلية أهل البيت علىٰ الأنبياء السابقين

اما افضليتهم نسبة إلىٰ الأنبياء الماضين واولي العزم ، فأن افضلية الرسول (ص) على سائر الأنبياء هي من ضرورات عقائد جميع الفرق الإسلامية ، أما افضلية الأئمة (ع) فأن كثيراً من المحققين استنبطوا من الآيات والأخبار ان أهل البيت اعظم شأناً من سائر الأنبياء عدا خاتم الأنبياء (ص) وادلتهم على ذلك كثيرة ونختار هنا دليلاً لطيفاً ذكره احد علماء العامة نقلاً عن الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير .

يقول الرازي في تفسير آية المباهلة ان أحد شيعة علي واسمه محمود بن الحسن الحمصي قد استدل بآية المباهلة علىٰ ان علياً افضل من جميع الأنبياء لأن الله يقول (وانفسنا) والمراد بهذه الكلمة هو علي (ع) باتفاق جميع المسلمين أي ان عليا بمنزلة نفس محمد ، وقد اتفق جميع المسلمين علىٰ ان محمداً (ص) افضل الأنبياء جميعا اذن فعليٌّ أفضل من جميع الأنبياء .

ثم يقول : ويؤيد هذا الاستدلال الحديث المتفق عليه لدىٰ الفريقين القائل (من اراد ان يرىٰ آدم في علمه ونوحاً في طاعته وإبراهيم في خلته وموسىٰ في هيبته وعيسىٰ في صفوته فلينظر إلى علي بن ابي طالب) .

ثم لا يجد الرازي اشكالاً في هذا الحديث من حيث السند والولاية بل يكتفي بالقول أنه ما دام الاجماع علىٰ ان غير النبي لا يكون أفضل من الأنبياء ، لذا لا يمكن القول أن علياً أفضل من الأنبياء .

وردّنا هو أنه اولا ليس هناك اجماع كهذا ، ثانيا ان المسلّم من هذا الإجماع المدّعىٰ هو أفضلية كل نبي في امته ولا يتنافىٰ ذلك مع افضلية

علي (ع) في أمه محمد علىٰ جميع الأنبياء الـذين لا يكون عليّ في امتهم ، ونوكل التفصيل في الجواب إلىٰ موضع مناسب آخر .

رواية في أفضلية أمير المؤمنين

ومن حيث الروايات فقد وردت اخبار كثيرة عن السنة أيضاً من جملتها ان رسول الله قال : (لولا علي لما كـان لفاطمـة كفؤ من آدم ومن دونه) ، ان كفؤ فاطمة هو علي ، وحتىٰ الأنبياء ليس منهم من هو كفؤها ، اذن فشرف الزهـراء ـ كما يفهم من هذه الرواية ـ اكثر من الأنبياء السالفين .

وفي بعض الروايات ورد أن الأنبياء أيضاً يحتاجون إلىٰ حد ما إلىٰ شفاعة أهـل البيت ، وهناك روايـات أخرىٰ تـدل علىٰ فضيلتهم من حيث الكمـالات النفسانية كالعلم مثلاً ، كالرواية التي تقول :

كان موسى بن عمران والخضر يقفان علىٰ ساحل البحر فشاهدا دجـاجة تحمل بمنقارها قطرة ماء وتلقيها جهة المشرق وثانية وتلقيها جهة المغرب وثالثة باتجاه السماء ورابعة إلىٰ الأرض ، فلم يفهم النبي موسىٰ والخضر معنىٰ عملها هذا .

فأُفهموا ان نسبة علم أهل السماوات والأرض والمشرق والمغرب مقابل العلم الذي منحه الله لنبي آخر الزمان ووصيه كنسبة القطرة إلىٰ البحر[١] .

وبطبيعة الحال فأن هذا الأمر (أفضلية آل محمد على الأنبياء السابقين) لا يتنافىٰ مع مقـام نبوتهم حيث لا ينقص من قـدرهم كون آل محمـد وهم ليسوا بانبياء أفضل منهم وهم أنبياء .

ونقل المحدث الجزائري في (الانـوار النعمانيـة) روايات كثيـرة في هذا المضمار نكتفي هنا بنقل واحدة منها :

نقـل الصدوق عليـه الرحمـة عن جماعـة من الثقاة ان حـرة ابنة حليمـة

---

(١) الأنوار النعمانية للجزائري .

السعدية مرضعة الرسول دخلت علىٰ الحجاج بن يوسف الثقفي وجلست أمامه فقال لها : سمعت إنك تفضلين علياً علىٰ ابي بكر وعمر وعثمان .

أجابت حرة : كذب من قال إنني افضِّل علياً على هؤلاء فقط ، قال الحجاج : وعلى من تفضلينه أيضاً ؟ اجابت علىٰ آدم ونوح ولوط وإبراهيم وموسىٰ وداود وسليمان وعيسىٰ بن مريم .

قال : ويحك ، انا اعترض على تفضيلك علياً على الصحابة فتقولين بأنك تفضلينه على ثمانية أنبياء من أولي العزم أيضاً ؟! ان لم تقدمي دليلاً علىٰ كلامك هذا فسأقطع رأسك .

قالت حرة : انا لم أفضله على الأنبياء ، بل ان الله فضّله عليهم في القرآن فقد قال في حق آدم ﴿ **وعصىٰ آدم ربَّه فغوىٰ** ﴾[2] ، ولكنه قال في أعمال علي : ﴿ **وكان سعيكم مشكوراً** ﴾[3] .

وفي رواية أخرىٰ أنها قالت : ان آدم اقترب من الشجرة التي نهي عنها ، بينما ترك علي لذات الدنيا التي أحلّت له واختار الزهد فيها .

قال الحجاج : احسنت يا حرة ، وبمَ تفضلينه على نوح ؟ فأجابت : بقول الله عز وجل : ﴿ **ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما** ﴾[4] ، بينما كان لعلي زوجة كفاطمة التي يسرّ الله لسرورها ويغضب لغضبها .

قال الحجاج : احسنت قولاً : وبم فضلته على إبراهيم أبي الأنبياء خليل الرحمن

قالت : ان الله قال عن لسان إبراهيم : ﴿ **واذا قال إبراهيم ربِّ ارني كيف تحيي الموتىٰ قال أولم تؤ من قال بلىٰ ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة**

---

(٢) سورة طه/ الآية(١٢٨) .

(٣) سورة الدهر/ الآية(٢٢) .

(٤) سورة التحريم/ الآية(١٠) .

من الطير فصرهنَّ إليك ثم اجعل على كل جبل منهنّ جزءً ثم ادعهنّ يأتينك سعياً ﴾[٥] .

وحينها رأىٰ كيف التحمت اجزاء الطير المتفرقة لتعود اربعة طيور كاملة لكن أمير المؤمنين قال شيئاً لا يخالفه فيه أحد من المسلمين «لو كُشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً» .

وهذه العبارة لم يقلها احد قبل علي ولا بعده ، قال الحجاج : احسنت وبم فضلته علىٰ موسىٰ ؟

قالت حرة : قال الله عز وجل عن موسىٰ : ﴿ **قال ربِّ نجني من القوم الظالمين** ﴾ ، بينما بات علي في فراش النبي ليلة هجرته من مكة إلىٰ المدينة ولم يخف حتىٰ نزلت الآية التالية في شأنه ﴿ **ومِن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد** ﴾[٦] .

قال الحجاج : احسنت وبم فضلته علىٰ داود ؟ قالت : بسبب قوله تعالىٰ : ﴿ **يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوىٰ** ﴾ .

سأل الحجاج : وكيف كان حكم داود ؟ اجابت حرة : كان قضاؤه بين رجلين احدهما مزارع والآخر ذو أغنام وقد ذهبت اغنامه ترعىٰ في مزرعة الأول فذهبا يحتكمان إلىٰ داود فحكم بأن تباع الأغنام ويسدد ثمنها لصاحب المزرعة تعويضاً عما لحق بها من دمار، فقال سليمان[٧] : ليسدّدوا من لبنها وصوفها ثمن المزروعات وهذا ما يقوله تعالىٰ (ففهمناها سليمان) أي أفهمناه حكم الحق .

أما مولانا أمير المؤمنين فقد قال : (سلوني عما فوق السماء ، سلوني عما تحت العرش ، سلوني قبل أن تفقدوني)[٨] .

---

(٥) سورة البقرة/ الآية(٢٦) .
(٦) سورة البقرة/ الآية(٢٠٧) .
(٧) في الأصل: (سليمان) .
(٨) الأنوار النعمانية/ الصفحة(٢٦٦) .

ثم خرج علىٰ النبي يوم خيبر فقال (ص) للحاضرين : عليٌّ أفضلكم وأعلمكم .

قال الحجاج : أحسنت يا حرة ، وبم فضلته علىٰ سليمان ؟! اجابت لقد طلب سليمان من الله ملكاً عظيما ﴿ **ربّ هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب** ﴾ ، بينما قال مولانا علي (ع) : (يا دنيا قد طلقتك ثلاثا لا رجعة لي فيك ثم أنزل الله الآية التالية ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين** ﴾ .

قال الحجاج : احسنت يا حرة ، بم فضلته على عيسىٰ بن مريم ؟ قالت ان الله قد فضل علياً علىٰ عيسىٰ حيث قال لعيسىٰ : ﴿ **يا عيسىٰ بن مريم انت قلت للناس اتخذوني وامي إلهين من دون الله قال سبحانك . . .** ﴾[9] .

اما عليّ عليه السلام فقد اعتبره الغلاة إلهاً ولكن الله لم يعاتبه .

قال الحجاج : احسنت يا حرة لقد اعطيت الجواب حقه وإلا لعاملتك بشكل آخر ، ثم اعطاها جائزة وخرجت من مجلسه بكل احترام .

حكم احتقار السادة من وجهة عالم سني

ان من يطالع كتب العامة بدقة يحار كيف يقتل الحق وهو واضح كل الوضوح .

يقول أحد علماء السنة وهو فاضل الدولة آبادي وهو من علماء الهند نقلت عنه في كتاب فضائل السادات الصفحة ٦٨ هذه الجملة ضمن تفسير آية المودة أنه يفتي بأن أحداً لو أهان ذرية الزهراء بأن قال له احتقاراً سُوَيّدكَ (مصغّر سيّد) فقد كفر لأنه أهان رسول الله .

---

(٩) سورة المائدة/ الآية(١١٦) .

المحاضرة السادسة عشرة

فدك وعائدها الهائل

لقد رجاني بعض الاخوة ان أتحدث عن مسألة فدك ، ولا مانع لدي من ذلك لأن ذلك أيضاً يتعلق بأهل البيت .

كانت فدك أرضاً تبعد عن المدينة مسافة يومين أو ثلاثة ، وكان عائدها من التمور كبيراً جداً يدرّ أرباحاً مقدارها أربعة وعشرين الف دينار ، وفي رواية سبعين ألف وكل دينار يعادل مثقالاً من الذهب .

أما كيف وصلت إلىٰ رسول الله فأن خيبر بعد ان فتحت على يد أمير المؤمنين أصبحت غنائمها من نصيب المسلمين .

اصيب سكانها ويهودها بالرعب بعد ان علموا انهم لا يستطيعون مقاومة جيش المسلمين فاضطروا للإستسلام لرسول الله واتفقوا علىٰ ان يدفع كل من يُسلم من أهلها ثلث ماله ويكون بعدها في أمان ، ومن لا يسلم فكل ماله يصبح من نصيب الرسول .

لأن الحرب لم تقع فقد صارت ملكاً للنبي (ص)

تعين الآية الشريفة ﴿ وما أفاء الله علىٰ رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلّط رسله علىٰ من يشاء والله علىٰ كل شيء

قــدير ﴾(١) ، كيفية تقسيم الغنائم ، فلو أن المسلمين فتحوا مدينة بواسطة الحرب اخذوا الغنائم بعد فصل خمسها وقسموها بينهم ، اما اذا اتفقوا دون حرب كانت الغنائم من نصيب النبي ، لذا اصبحت فدك التي حصلوا عليها دون حرب من نصيبه حيث سلم اليهود انفسهم لجيش المسلمين خوفاً منهم .

العوالي هي أملاك مخيريق يهودي

العوالي اسم سبع قطع اخرىٰ من نواحي فدك وكان عائدها ضخما هي الأخرىٰ وتعود لشخص يهودي اسمه مخيريق ، هذا الشخص دخل المدينة المنورة بعد ان كانت معركة أحد قد بدأت فأسلم ووهب أملاكه وهي العوالي التي تشتمل علىٰ سبعة بساتين وذهب إلى ميدان القتال وقتل .

لذا قال رسول الله (ص) : مخيريق من أهل الجنة ولو أنه لم يستطع ان يصلي ركعتين .

وبناءاً على هذا فأن مجموع عوائد فدك والعوالي كان اكثر من سبعين الف مثقال من الذهب سنوياً .

آت ذا القربىٰ حقه

وهنا ـ كما روىٰ العامة أيضاً ـ نزلت هذه الآية ﴿ وآت ذا القربىٰ حقه ﴾(٢) ، يقول رسول الله (ص) سألت جبرئيل من ذو القربىٰ وما حقه ؟ فأجاب : يقول الله عز وجل ان ذا القربىٰ هي الزهراء (ع) وحقها ان تهبها فدَكاً .

وبالطبع فأن ملكاً كهذا وفير الربح ينبغي ان يكون في يد الزهراء التي لا تحب الدنيا ولا تنفق المال على نفسها بل تقسمه بين فقراء المؤمنين .

لذا ملّك رسول الله (ص) فاطمة فدكاً وأعطاها العوالي أيضاً وكان ذلك قبل وفاة الرسول بثلاث سنين ونيّف كما يقول العامة والخاصة .

---

(١) سورة الحشر/ الآية(٦) .

(٢) سورة الاسراء/ الآية(٢٦) .

عمال الزهراء (س) علىٰ فدك

استناداً إلىٰ ما ذكره ابن ابي الحديد وابن حجر وغيرهما فأن الزهراء قد عينت عمالاً يجمعون العائدات في أوانها لذا كانت الزهراء مطلقة اليد فيها ، وبالمناسبة انتبهوا إلىٰ وضع الزهراء وعلي المعيشي فأن من يصله في العام الواحد سبعون ألف مثقال من الذهب يجلس علىٰ جلد الخروف وتلبس الزهراء إزاراً فيه عدة رقع بينما يوزعان ما يحصلان عليه بين الفقراء والمساكين .

وقف علىٰ اولاد الزهراء

انتبهوا جيداً إلىٰ هذا الأمر ان فدكاً كانت ملكاً للزهراء وتحت تصرفها لثلاث سنين ونيف ولم تكن من أرث النبي ، لذا فقد اوصت الزهراء ان تكون فدك وقفاً علىٰ ذريتها وجعلت ولايتها لأمير المؤمنين ثم الحسن وبعده الحسين ثم إلى اكثر أولادها رشداً إلىٰ يوم القيامة .

عمر بن عبد العزيز يعيد فدكاً

كان أبو بكر أول من صادر فدكاً والعوالي وبعد عمر اعطاها عثمان لمروان وظلت في ايدي بني أمية حتىٰ زمن عمر بن عبد العزيز الذي كان أحد اعماله الصالحة هو منع سبّ الإمام علي علىٰ المنابر والاخر إعادة فدك إلىٰ اولاد الزهراء .

اعترض عليه بعضهم بالقول ان اعادتك فدكاً إلى ورثة الزهراء يعني تعريضا وتكذيباً للشيخين أي ان احدهما اغتصبها والآخر احتفظ بها دون حق .

أجاب عمر بن عبد العزيز : انا اعلم ان هذا الملك كان تحت تصرف الزهراء فلم غصبوها إياه ، وانا واثق من ان من يرضي الزهراء يرضىٰ الله عنه ، وانا سأعيد ـ ارضاءاً للزهراء ـ فدكاً إلىٰ ذريتها ، وقد فعل هذا وسلّم فدكاً والعوالي إلى الإمام الباقر في المدينة .

يغصبون ويعيدون

ظلت فدك والعوالي بأيدي بني فاطمة حتىٰ غصبها يزيد بن عبد الملك بن مروان وأصبحت تحت تصرف بني أمية حتى أعادها الخليفة العباسي الأول أبو العباس السفاح لكن المنصور الدوانيقي غصبها للمرة الثالثة .

وقيل ان الخليفة المهدي بن المنصور الدوانيقي اعادها إلى أهل البيت وغصبها مرة أخرىٰ ابنه الهادي ، وحين أصبح المأمون خليفة شكّل مجلساً ودعا علماء العامة وطرح قضية فدك واتضح انها كانت ملكاً للزهراء (ع) .

فكتب في ذلك المجلس ان تعاد فدك إلىٰ اولاد الزهراء وتنفق عائداتها في مواضعها حسب أوامر الإمام الرضا ثم انتقلت إلى الإمام الجواد حتىٰ غصبها المتوكل العباسي وظلت مغصوبة إلىٰ يومنا هذا ، حقاً انها لدنيا عجيبة .

حين يضع المهندس الحجر الأول أعوج يبقى الجدار أعوج حتىٰ لو بلغ الثريا .

كان هذا تاريخاً مختصراً لفدك والآن انتبهوا إلى دعوى فدك ودليل الجانبين .

الحق مع المتصرف إلا بدليل

ان القاعدة الفقهية المعترف بها من قبل جميع مذاهب المسلمين هي قاعدة التصرف وهي أنه اذا كان مال ما تحت تصرف شخص ، فيد التصرف محكمة ولا يستطيع أحد ايذاءه الا ان يأتي بدليل قوي علىٰ خلاف ذلك ، أي أنه اذا اراد شخص ان يأخذ المال المتصرَّف وجب ان يثبت ان المال ليس لذلك الشخص بل له هو ـ المدعي ـ لأن التصرف إمارة الملكية .

البيئة علىٰ المدعي وليست على المنكر

لذا فأن الزهراء بعد ان جاءت إلىٰ المسجد والقت تلك الخطبة الغراء مطالبةً بحقها ولم يصغِ لها أحد ، التقىٰ علي (ع) بأبي بكر في المسجد وقال له : لو كان لأحد ملك وهو يتصرف به وأدّعيت انا إنه لي فهل تطلب مني بينةً أم

منه ؟ أجاب أبو بكر اطلبها منك ، قال الإمام : فلماذا تطلب من الزهراء بينة ؟ وقد كان عمّالها في فدك والعوالي منذ ثلاث سنين فلماذا اخرجتهم منها ؟!

حديث مكذوب عن لسان النبي (ص)

تمسك أبو بكر وعمر بـالحديث المكـذوب الذي نقـل عن رسول الله : (نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث وما بقي بعدنا فهو صدقة وبالنتيجة فأنه يجب ان يعطىٰ الخليفة الرسول ويقسّم بين فقراء المسلمين

اذن يجب ان تكون فدك تحت تصرفنا وتقسّم حسب رأينا .

حديث النبي لا يمكن ان يتنافىٰ مع القرآن

قالت الزهراء في خطبتها الغرّاء التي أشير إليها : اولاً ان فدكاً هي ملكي وثانياً وعلىٰ فرض كونها ملكاً للنبي فأنها تصلني بالوراثة فهل ترث أنت أباك ولا أرث أبي ؟ فأن قلتَ ان هذا حديث النبي فذلك يتنافىٰ مع صريح القرآن حيث يقول : ﴿ **وورث سليمان داود** ﴾[٣] ، ﴿ **فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب** ﴾[٤] .

وهنا يجيب البعض بأجوبة مضحكة حيث يقولون ان المقصود بالإرث هنا هو العلم والنبوة ، ونرّد علىٰ ذلك بالقول ان ادعاءهم هذا خلاف للظاهر فأنه إينما ذُكر الإرث في القرآن كان يقصد به ظاهراً المال ولكي يكون غير ذلك فان الأمر يحتاج إلىٰ دليل وبرهان .

الدليل خلاف للأدعاء

وهنا علاوة علىٰ ان ضرورة انصراف والاطلاق هو أنه مال فأن الدليل موجود أيضاً في الآية الشريفة علىٰ ان المقصود هو المال ﴿ **واني خفت الموالي**

(٣) سورة النمل/ الآية(١٦) .
(٤) سورة مريم/ الآيتان(٥/٦) .

من ورائي وكانت امرأتي عـاقراً فهب لي من لـدنك وليّـا يرثني ويـرث من آل يعقوب ﴾[٥] .

الا ينبغي للآخرين ان يسمعوا ؟!

قالت الزهراء : أتزعم إنني وأبي خارجان عن قانون الأرث الذي جاء في القرآن الكريم ؟ ثم لا يمكن الاكتفاء بك وانت شخص واحد لنقل هذا الحديث (يقول ابن أبي الحديد ان هذا الحديث لم ينقله ولم يسمعه من النبي أحدٌ سوىٰ أبي بكر) وليس من المعقول ان يكون النبي قد قال هذا لأبي بكر فقط ولم يقله لسواه طيلة حياته .

ضرورة احقاق الحق

انتبهوا إلىٰ ان الزهراء لا تهتم بالدنيا ومالها فوجوده وعدمه سواء بالنسبـة لها لكن كان ينبغي لها احقاق الحق وعدم الرضوخ للظلم قدر المستطاع ، كان ينبغي لها ان تسعىٰ لإنفاق عـائد هـذا الملك في محله ، لا أن يقع في ايـدي اشخاص يسلمونه لمثل مروان بن الحكم .

وكذلك إبطال الباطل

وكذلك تُفهم الدنيا بأن أيَّ ثعالب مكارة وأية ذئاب هذه التي ظهرت بزي الحملان .

ينقل السنة والشيعة عن أمير المؤمنين في نهج البلاغة أنه قـال : (كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السمـاء فشَّحت عنها نفـوس قوم وسخت عنهـا نفوس قوم آخرين ونعم الحكم الله) .

يـوم ينادي المنـادي ألا لعنة الله علىٰ القـوم الظالمين ، وسيعلم الـذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون .

---

(٥) سورة مريم الآيتان (٤ / ٥) .

المحاضرة السابعة عشرة

نقاش الزهراء وابي بكر

من التواريخ ان احتجاج الزهراء على أبي بكر وعمر قد تمّ في موقفين .

في المـرة الأولىٰ ادعت الـزهـراء (س) ان فـدكـاً هي منحة وهـديـة النبي (ص) لها ، فأمرت فضربوا لها ستاراً وشرعت بالقاء خطبة من وراء الستار ومجموعة من نساء بني هاشم تحيط بها ، وهذه الخطبة الغراء قد كتب العلماء شروحاً عليها وقد تحدثت عن مسائل تتعلق بالدين الإسلامي المقدس واحكامه وعن التوحيد ثم عن أعداء الإسلام واخيراً تحدثت عن قضيتها .

لا يحتاج المتصرف إلىٰ دليل

الكل يعلم ان ابي وهبني فدكاً ، فلماذا اخرجوا عُمّالي منها ؟

قال ابو بكر : نريد منك بينة فاتِ بشاهدين علىٰ انها منحة وهدية النبي ؟

ان طلب ابي بكـر شاهـداً من الزهـراء (س) هو خـلاف ضرورة الـدين الإسلامي حيث تطلب البينة ممن ادعىٰ (وهو أبو بكر) وليس ممن يتصرف (وهي الزهراء) يجب ان يأتي ابو بكر بشاهد وإلا فأن تصرف الزهـراء هو دليـل على ملكيتها ، ومع هذا فقد جاءت بالشهود .

احضرت الزهـراء علياً والحسن والحسين عليهم السـلام وأم أيمن (وفي

رواية) اسماء أيضاً ، فشهد عليّ بأن رسول الله وهب الزهراء فدكاً ، كما شهدت أم أيمن (التي قال عنها رسول الله أنها من أهل الجنة) ، وكذلك شهد الحسنان ، وفي رواية أخرىٰ ان اسماء شهدت هي الآخرىٰ أيضاً .

قالوا ان شهادة علي لا تنفع لأنها من مصلحته ، كما لا تنفع شهادة الحسنين لأنهما لم يبلغا سن الرشد ، أما شهادة أم أيمن وأسماء فهي ناقصة (شهادة امرأتين تعادل شهادة رجل واحد) .

اما ردُّنا علىٰ هؤلاء .

اولاً : ان الزهراء بشهادة القرآن منزهة عن الكذب ، وطلبُ شاهد على صدقها مع كونها متصرفة هو خلاف قانون القضاء اضافة إلى أنه عمل خاطىء لأن الله تعالىٰ يقول : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** ﴾[1] .

ولذا فإن الله طهرها وعصمها عن الخطأ فلا يمكن اتهامها بالكذب لكي تحتاج إلىٰ شهود علىٰ صدقها .

وقد قال امير المؤمنين لأحدهم : لو شهد شخصان (والعياذ بالله فرضاً وهو مستحيل) علىٰ ان الزهراء ارتكبت معصية ما ، فهل تصدقه ؟ قال طبعاً فردّ الإمام : وحينها ستكفر بالقرآن ، قال لماذا ؟ اجاب الإمام : لقد شهد الله آية التطهير بطهارة فاطمة ونقائها فهل ترفض شهادة الله وتقبل شهادة شخصين من الناس ؟ فبهت الذي كفر .

وروي ان الحاضرين في المسجد من المهاجرين والانصار قد بكوا .

المصيبة الأعظم رفض شهادة علي

ان رفض شهادة علي (ع) لأمر مخجل حقاً ، علي الذي هو نفس النبي كما جاء في آية المباهلة (وانفسنا) فرفض شهادته هو رفض لشهادة النبي وعليّ

---

(١) سورة الاحزاب/ الآية(٣٣) .

هذا هو الذي اتفق السنة والشيعة علىٰ قول النبي (ص) بحقـه (علي مع الحق والحق مع علي يدور حيث ما دار) .

ان هذا وحده كاف فلنترك الادلة الأخرىٰ وشأنها .

كان يحيىٰ وعيسىٰ نبيين منذ الطفولة

ان حجتهم علىٰ عدم قبول شهـادة الحسنين هو كـونهما لم يبلغـا الحلم بينما لا مكان لحجة كهذه بين الأنبياء والأئمة .

يقـول القرآن الكـريم : ﴿ **يـا يحيىٰ خـذ الكتـاب بقـوة وآتينـاه الحكم صبيا** ﴾ ، حيث جاء في الرواية ان الله اختاره للنبوة وهو في الرابعة من عمره .

كما ان عيسىٰ وهو في المهد ﴿ **قال إني عبد الله آتاني الكتـاب وجعلني نبيا** ﴾ ، كذلك قال رسـول الله : (الحسن والحسين إمامـان قامـا أو قعدا) أي سواء أقاما بالحق أم جلسـا في الدار ، وكـذلك قـال : إني تارك فيكم الثقلين كتـاب الله وعترتي أهـل بيتي) ومن الثابت ان الحسن والحسين همـا جـزء من العترة ، ولهذا فـالأن الأمر لا يختلف بين كبيـر وصغير ، ورفض شهـادتهم هو رفض الآيات القرآن وسنة النبي .

المراد بالصديق علي وبالصالحين الحسنين

حول تفسير الآية الكريمة ﴿ **ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصـديقين والشهـداء والصـالحين وحسن أولئـك رفيقا** ﴾[٦] ، روي عن رسول الله أنه قال : اما النبيون فأنا ، وأمـا الصديقـون فـأخي علي بن ابي طالب (الصـدّيق الأكبـر هـو لقب علي الخـاص بـه) وأمـا الشهـداء فهو حمـزة سيد الشهـداء ، وأما الصـالحون فـابنتي فاطمـة والحسن والحسين .

وقد نقل هذه الرواية ابن بابـويه عن أنس بن مـالك ، وفي غـاية المـرام

---

(٦) سورة النساء / الآية(٦٩) .

نقلت عن طريق بن عباس هكذا (من النبيين يعني محمداً والصديقين يعني علياً وهو أول من صدّقه والشهداء يعني عليا وحمزة وجعفراً والحسن والحسين .

اذن لا يمكن النظر إلىٰ الحسنين باعتبارهما طفلين عاديين مع وجود هذه العبارات القرآنية والنبوية .

أما ام أيمن ، فهل أن رفض شهادتها وهي التي قال عنها النبي أنها من نساء الجنة عمل صحيح ؟!

وفي هذه المسألة ونظائرها يجب ان يأتي المدعي بشاهدي عدلٍ من الرجال أو أربعة من النساء أو رجل وامرأتين ، فأن لم يكن له أكثر من شاهد ، أقسم المدعي نفسه بدل الشاهد الثاني ووجب علىٰ القاضي أن يقبل دعواه وهذا يتفق مع الفقه الإسلامي .

لماذا لم يطلبوا من الزهراء قسماً

والآن وبغض النظر عن كون الزهراء وعلي والحسنين معصومين بنص القرآن الكريم واطهاراً وطلب شهادتهم عمل خاطىء اصلاً فكيف برفضها بهذه الحجج الواهية .

وشهادة أم أيمن واسماء ، بحكم شاهد واحد فلماذا لم يطلبوا من الزهراء ان تقسم بدل الشاهد الثاني (كما هو الحال في بقية الدعاوىٰ) ثم يتركون فدكاً لها .

خطاب ابن عباس لعائشة

في اليوم الذي اراد فيه بنو هاشم دفن جثمان الحسن المجتبىٰ قرب جده رسول الله ، جاءت عائشة ومانعتهم قائلة بأنها لن تسمح بدفنه في حجرتها .

قال لها ابن عباس ان لك تُسعَ الثمن من هذه الحجرة وتدعين ملكيتها

تجملت تبغلت وان عشت تفيلت

لك تسع من الثمن وفي الكل تصرفت

المحاضرة الثامنة عشرة

سنتحدث الآن عن الإشكال الآخر في هذا الأمر وهو ان تركة الرسول لم تكن منحصرة في فدك ـ على فرض أنه لم يهبها لفاطمة وكانت أرثاً ـ فلماذا لم يؤخذ كل ارثه واقتصر الأمر علىٰ فدك .

فقد كان للنبي دابة ، بل جاء في الروايات أنه كان يملك دواباً كثيرة وعصا وسلاحاً ودرعاً وعمامة وكلها صارت إرثا وانفقت في مواضعها فكيف تركوا مالا يتعارض مع اهدافهم لحال سبيله ولم يطالبوا الزهراء به ، ولكنهم تصرفوا في قضية فدك كما مر سابقاً ، وقد ذكرنا في الليلة السابقة محاجة علي وسنذكر هذه الليلة محاكمة أخرىٰ .

بعد وفاة الزهراء اختلف العباس عم النبي مع الإمام علي على تركة النبي من عصا ودرع وثوب ودابة ، فالعباس يطالب بها لكونه عم النبي ، والإمام علي يقول انها تعود لفاطمة (ع) وبعد موتها تصبح تركة لي ولاولادها .

أخذ العباس الإمام (ع) إلى ابي بكر وعمر للاحتكام ، فحكم الإثنان بأن هذهِ الممتلكات تعود لعلي واولاده ، أي ان الزهراء كانت قد ورثتها عن أبيها ومن ثم صارت إرثاً ولابنائها وزوجها بعد وفاتها .

نعم لقد نسي ما كان قد قيل سابقاً من أن الأنبياء لا يورِّثون .

هشام بن الحكم على مفترق طريقين

وكما بيّن هشام بن الحكم وهو من تلاميذ مدرسة الامام الصادق (ع) وكما ذكر العلامة المجلسي ـ حين سألوه عن قضية العباس وعلي (ع) ليحرجوه فلو قال ان ادعاء علي كان باطلا لتضارب ذلك مع مذهبه (علي مع الحق والحق مع علي) ، وان قال ان العباس كان على باطل فهو جدّ هارون ، وقد كانت الخلافة العباسية قائمة على اساس ادعاء القربىٰ من الرسول وكونها علىٰ دولة حق .

ولهذا فإن اتهم اساس حكومة بني العباس بالبطلان لقتله هارون الرشيد وهنا اسعفه الإلهام الإلهي فقال :

وكما جاء في القرآن الكريم قصة الملكين الذين ادّعوا النبوة لاختبار داود (ع) وكان الإثنان علىٰ حق ، ولهذا فمن الممكن ان يكون الطرفان على حق والعباس وعلي (ع) ربما تنازعا نزاع الجواهري كما نقول ليفضحا مسألة فدك .

ردّ فعل المسلمين

عندما عادت الزهراء باكية من المسجد ادّت حالها تلك إلى حدوث ردّ فعل عنيف بين المسلمين فصعد أبو بكر المنبر وشتم علياً والزهراء وقال : نعم يا ابن هذهِ الدنيا ان الملك عقيم لا يفرّق بين قريب وبعيد وليس فيه مراتب عالية وأخرىٰ واطئة[1] .

رئاسة أم خلافة بالحق

يقول ابن ابي الحديد ـ وهو من المعتزلة ـ : سألت استاذي لماذا تكلم ابو بكر بهذا الكلام الجارح وبذلك اعتدىٰ على حرمة علي وفاطمة ؟

اجابني : يجب ان يتحدث السلطان بهذه الصورة في بعض الأحيان

---

(١) رياحين الشريعة (ج٢/ص٢٩) حيث وردت عبارات الشتم التي استخدمت كما نقل هناك نص كلام بن ابي الحديد وجواب استاذه .

لحفظ سلطته اذن فالمسألة سلطنة ورئاسة وليست خلافة بالحق وخلافة للنبي ومقاماً روحانياً .

كلام الزهراء بسبب ضيق صدرها

بكت الزهراء على قبر النبي حتىٰ ابتل بدموعها ثم عادت إلىٰ البيت وكان امير المؤمنين ينتظرها وحين رأته قالت : يا ابن ابي طالب اشتملت شملة الجنين ، وقعدت حجرة الظنين ، نقضت قادمة الأجدل ، فخانك ريش الاعزل ، هذا ابن ابي قحافة يبتزني نحلة أبي وبلغة ابنيّ ، لقد اجهد في خصامي ، والفيته الدّ في كلامي ، حتىٰ حبستني قيلة نصرها ، والمهاجرة وصلها ، وغضت الجماعة دوني طرفها ، فلا دافع ولا مانع ، خرجت كاظمة وعدت راغمة ، اضرعت خدّك يوم اضعت حدّك ، افترست الذئاب وافترشت التراب ، ما كففت قائلاً ، ولا اغنيت طائلاً ولا خيار لي ليتني متُّ قبل هنيئتي ، ودون ذلتي ، عذيري الله منه عادياً ومنك حامياً ، ويلاي في كل شارق! ويلاي في كل غارب! مات العمد ، ووهن العضد شكواي إلىٰ ابي ! وعدواي إلىٰ ربيّ! اللهم انك اشدُّ منهم قوة وحولاً ، واشد بأساً وتنكيلا .

فقال أمير المؤمنين : لا ويل لك بل الويل لشانئك ثم نهنهي عن وجدك يا ابنة الصفوة وبقية النبوة فما ونيت عن ديني ، ولا اخطأت مقدوري ، فأن كنت تريدين البلغة ، فرزقك مضمون ، وكفيلك مأمون ، وما اعدّ لك افضل مما قطع عنك فاحتسبي الله .

فقالت : حسبي الله وأمسكت[٢] .

الشكوىٰ تختلف عن الاعتراض

لو قيل أن فاطمة وهي المعصومة العالمة كانت تعلم قبل غيرها ان علياً لم يسكت إلا بأمر الله ورسوله ، ولم يكن هذا الاعتراض والاشكال علىٰ الإمام بالأمر اللائق خصوصا حين يصدر عن امرأة كفاطمة .

---

(٢) نقلنا النص من كتاب (الاحتجاج) للطبرسي الصفحتان (١٠٧و١٠٨)(م) .

وجوابنا ان كلام الزهراء لم يكن اعتراضاً ولا اشكالاً علىٰ علي ، بل كان شكوىً وتظلماً واظهار ضيق الصدر ، وواضح أن من يُظلم يذهب إلىٰ كبير عشيرته ويشكوه مظلوميته ، فأين تذهب الزهراء ولمن تقول سوىٰ علي ما رأت من المسلمين من عبدة الدنيا من جفاء .

كلام موسى لهارون

الأمر الآخر هو أن غضب الزهراء أمام أمير المؤمنين هو بيان لعظمة ذنب الغاصبين ليميز الآخرون الحق من الباطل ، كما جاء في كلام موسىٰ (ع) لأخيه هارون حين عاد من جبل الطور ورأىٰ الناس قد اصبحوا عبدة للعجل فغضب غضباً شديداً والقىٰ بالواح التوارة ﴿ **وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه** ﴾[٣] ، أمام انظار بني اسرائيل وقال له لماذا سكت حين رأيتهم يعبدون العجل ؟ قال هارون : ﴿ **قال يبنؤمّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي** ﴾[٤] .

عظمة ذنب بني اسرائيل

والقصد ان موسىٰ كان يعلم ببراءة هارون ، لكن هذا العتاب والاعتراض جاء لأظهار عظمة ذنب بني اسرائيل ليعلموا أي ذنب كبير اقترفوه ويندموا ويعودوا عما فعلوه .

ونقول كذلك أنه وبعد اثبات عصمة فاطمة (س) يعلم علم اليقين ان كلامها هذا امام النبي له منافع وان كنا لا نعلمها بالتفصيل .

وعلى هذا فلم يكن ذلك اهانة لعلي أو اعتراضاً عليه بل أظهار عظمة الظلم الذي وقع عليها وشكواه لأقرب الناس إليها عند ضيق صدرها وتألمها .

جاء في رواية ان علياً (ع) هدأ الزهراء وقال لها ان اردت ان يبقىٰ اسم

---

(٣) سورة الاعراف/ الآية١٥٠) .

(٤) سورة طه/ الآية(٩٤) .

ابيك خالداً وجب السكوت ، لأن عليا لو اراد حمـل سيفه لمحيَ الاسـلام في ذلك الحين .

ذكر ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغـة الجزء الثـالث طبعة مصـر الصفحة ٣٥١ ان ابا العاص بن ربيع زوج زينب أُسر في معركـة بدر على يـد المسلمين وبمـا ان أهل مكـة كانـوا يفتدون اسـراهم فقد ارسلت زينب فـدية لاطلاق سراح زوجها وحين رأىٰ الرسول بين الفديات قلادة يعرفها لأن خديجة كانت قد البستها إياها ليلة زفافها فبكىٰ وقال : لقـد ضاق بـزينب الوسـع حتىٰ فرطت بتذكار أمها ، اعيدوا القلادة إلىٰ ابي العاص فأجابوه .

هل كانت فاطمة أقل شأناً من زينب

يقول ابن ابي الجديد : لقد تلوت هذه الرواية على مسامع استاذي ابي جعفر النقيب فقال : أرأيت ان ابا بكر وعمر لم يبلغا هذا المقام بحيث يسرّان فاطمة حتىٰ لو لم تكن فدك ملكاً لها الم يكن بالإمكان ان يطلبوا من المسلمين أن يهبوها إياها ، وبالطبع فلو كانوا قد طلبوا ذلك لما رفض احد من المسلمين طلبهم فهل كانت فاطمة اقل شأناً لدىٰ الرسول من زينب ؟ والحال انها سيـدة نساء العالمين .

جواب بعض المتعصبين

يرد بعض المتعصبين على هذا الكـلام بالقـول ان ما طلب الـرسول من المسلمين هبته لزينب في يوم بدر الذي كان عدد المسلمين فيه محدوداً بخلاف فدك حيث كان عدد المسلمين غير محدود وبذلك لم يكن استيهابهم ممكناً .

هل استأذنوا عند اخذ حجرات الرسول

ردّنا علىٰ هذا الكلام هو ان هذا الموضوع ينقض موضوع حجرات ازواج النبي التي اوكلها أبو بكر وعمر إليهن وقد كانت تلك الحجرات جزءاً من تركة رسول الله ولكنهم جعلوها ممكناً فنبأتهم عائشة وحفصة وبقية زوجات النبي لم يكن لهن في ذلك ارث ولا نحلة بل وكما يزعم أبو بكر وعمر كانت ملكا لكل

المسلمين وكان واجبا عليهم طلب الهبة من الجميع مع ان عددهم كان غير محدود .

وكذلك دفن ابي بكر وعمر في حجرة النبي وهي حق لكل المسلمين ـ كما يزعمون ـ فمن الذي طلب الهبة من المسلمين حينها وقد كان عدد المسلمين أيضاً غير محدد .

لم يكن الهدف إلا الظلم

وعلى كل حال وبعد ملاحظة ما سبق ذكره من النقض والابرام في قصة فدك فلا يخفىٰ حتىٰ علىٰ الاطفال ان الشيخين لم يكونا ليهدفا إلا إلى الظلم والجور والغلبة والاستيلاء علىٰ امير المؤمنين وغصب الخلافة وغصب حق فاطمة ليستفيدوا من خيرات فدك في تقوية جانبهم واضعاف جانب أهل بيت الرسالة (ع) .

المحاضرة التاسعة عشرة

لِمَ الغضب ؟

قلنا في الليالي السابقة أن الأنبياء والأولياء يخلون من الرغبات النفسانية فإن احبوا احداً فللّه وان عادوا احداً فللّه انهم لا يرغبون في الدنيا وما يتعلق بها فكيف يمكن لمن أحب الدنيا ان ينقذ الآخرين والحال وان واجبهم هو تخليص الناس من حبّ الدنيا وترغيبهم في حبّ الآخرة .

كذلك كانت الزهراء وهي بنص القرآن مطهرة ومنزهة عن كل رجس اذن فليس عندها حب الدنيا ومالها لأن (حب الدنيا رأس كل خطيئة) اذن فلماذا هذا الغضب ؟ ولماذا خطبت واحتجت ؟ ولماذا ذهبت إلىٰ دار ابي بكر ؟

المؤمن لا يرضخ للظلم

الجواب هو أن المسلم لا يظلم ولا يرضخ للظلم ، فحين يرىٰ الإنسان احداً يريد أن يغصب ماله يجب ان يمنعه حتىٰ لو كان يصلي فحين يرىٰ من يحاول أخذ ماله الذي يجب حفظه ينبغي ان يقطع صلاته ويحفظ ماله .

لقد كانت فدك ملكاً مطلقا للزهراء ولذا وجب عليها حفظها قدر المستطاع ثم أنها لم تكن للزهراء وحدها ، بل ان الرسول قال لها : لك ولذريتك لذا وجب عليها حفظ حقوق نسلها الطاهر أيضاً .

تفضح غاصبي الخلافة

وقدوقعت بيد فاطمة حجة لتفهم الناس ان هؤلاء غصبوا الخلافة التي هي الحق المسلم لزوجي كما غصبوا ملكي المسلَّم ، وبذلك احقت الزهراء الحق وابطلت الباطل ونهت عن المنكر وافهمت المسلمين ان هؤلاء ظالمون .

فقد قالت في خطبتها : ألستُ انا التي قال عني رسول الله : (فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله) .

ان هؤلاء قد آذوني ، ويتضح من هذا الحديث أيّ اناس اولئك الذين غصبوا فدكاً .

لماذا سكت علي (ع)

اما سبب سكوت امير المؤمنين فهو كما اشرنا في الليلة السابقة أنه لو حمل سيفه وقاتل منافقي المدينة لعاد مسلموا مكة الذين اسلموا لتوهم وهدأت مدينتهم خوفاً من عودة الحكومة المركزية إلى عبادة الأصنام. اما اليمن التي بدأت تعتنق الاسلام تدريجياً فستنفصل ، اما اليهود الذي كانوا ما يزالون في المدينة ونواحيها واطرافها وهم حاقدون علىٰ المسلمين فسيتمردون ، وباختصار فأن الحرب الداخلية كانت لتشتعل وبما ان الإسلام كان ما يزال حديث العهد فسيمحىٰ من الوجود .

المؤمنون في صلب الكافرين

التعليل الآخر لعدم تحرك أمير المؤمنين للحرب فهو كما يتضح من الروايات أن النبي أو الإمام لا يقتلان كافران اذا كان في صلبه مؤمن حتىٰ يظهر ذلك المؤمن في نسله .

وفي رواية أخرىٰ ان الإمام كان يستشهد بهذه الآية : ﴿ **لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليما** ﴾[1] ، اشارة إلىٰ انه اذا كان في صلبه مؤمن

---

(١) سورة الفتح / الآية(٢٥) .

فيجب تركه ، وقد ظهر من صلب هؤلاء المنافقين انفسهم رجال مؤمنون قاتلوا في حزب الإمام علي وقدموا تضحيات كبيرة .

نسل النبي يجب ان يحفظ

العلة الثالثة لسكوت علي هي حفظ نسل النبي ، كونوا واثقين من أنه (ع) لو حمل سيفه فان هؤلاء المنافقين وإضافة إلىٰ محوهم لأثر الاسلام ، لما تركوا احداً من ذرية الرسول كما ان حياة الزهراء والحسنين كانت ستتعرض للخطر .

الحرب تحتاج إلىٰ معين

التعليل الرابع هو ان وجوب الجهاد على النبي والإمام مرتبط بوجود الناصر والمعين وبالطبع فانه ليس المقرر أن يجاهد بقوة الاعجاز .

والآن وعلي ليس له ناصر ، ورسول الله قد صبر وتحمل في مكة ثلاث عشرة سنة لعدم وجود ناصر ولكنه حارب في المدينة بعد ان ساعده الانصار .

فاذا كان عدد المسلمين نصف عدد الكفار علىٰ الاقل وجب الجهاد والا فلا ﴿ **فأن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم الف يغلبوا الفين بإذن الله والله مع الصابرين** ﴾[٢] .

طلب العون من المهاجرين والانصار

لقد سمعتم ان علياً كان يأخذ بيد الحسنين في الليالي (وفي بعض الروايات لأربعين ليلة) ويصطحب الزهراء أيضاً في بعض الأحيان إلى دور الانصار والمهاجرين ويذكرهم باقوال النبي وكانوا يعدون بدورهم بالمساعدة .

وحين يصبح الصباح لم يكن يأتي سوىٰ نفر قليل من المضحين مثل سلمان والمقداد وابي ذر وعمار .

---

(٢) سورة الانفال/ الآية(٦٦) .

كان علىٰ الحسين واجب آخر

يقول الشيخ الشوشتري عليه الرحمة في كتاب (الخصائص الحسينية) كان على الحسين واجب آخر وكان يختلف عن أبيه كما كان زمانه كذلك وكان واجبه يقضي بأن يقف لوحده ويقاتل آلافاً من الأعداء ثم يقتل .

الجهادان الابتدائي والدفاعي

وتفصيل كلام الشيخ هو أن الجهاد قسمان ابتدائي ودفاعي ، فالحكم الذي ذكر من حيث عدد الاشخاص يكون الجهاد واجباً اذا ابلغ عدد المسلمين نصف الكفار علىٰ الأقل يتعلق بالجهاد الابتدائي ، حيث يقاتل المسلمون المعارضين بأمر النبي أو الإمام .

أما الجهاد الدفاعي فهو ان يدافع الإنسان عن حريم الاسلام أو عن نفسه وعرضه وهو أمر واجب لا يتدخل فيه العدد والعدة .

كانت قضية كربلاء ذات طابع دفاعي بالنسبة للحسين ، حيث دافع عن اسلامه ونفسه وماله وعرضه حتىٰ استشهد .

صلوات الله عليه وعلىٰ جده وابيه وأمه وأخيه وبنيه .

(اللهم اجعلنا من اوليائهم وشيعتهم وارزقنا شفاعتهم وتوفّنا علىٰ ملتهم واحشرنا في زمرتهم .

انتهىٰ الكتاب



دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع .

هاتف وفاكس: ٣١٧٤٢٥ - ٨٢٠٣٢٠ - ٨٣٤٢٦٥ - ص.ب: ٢٥/١٦١ - تلكس: ٢٢٥٩٧ بلاغ - بيروت - لبنان